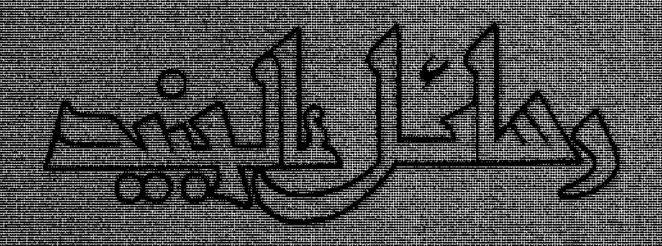
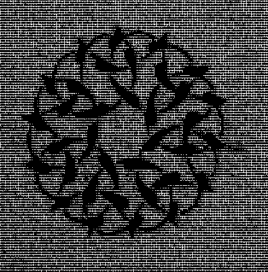


للإمام أبو القاسم الجنيد
القرن الثالث الهجري



تحقيق
د. علي حسن عبد القادر

مطبعة حجازي بالقاهرة

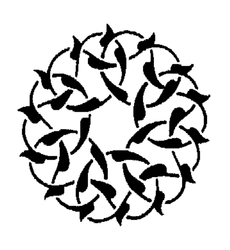


رسائل الجنيد

برعي وجداي ، القاهـرة
رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٨٨/١٧٩٥
ISBN ٩٧٧ - ١٧٠٠ - ٠٠٦



للإمام أبو القاسم الجنيد
القرن الثالث الهجري



تحقيق
د. علي حسن عبد القادر

برعي وجداني بالقاهرة

خطـوط : مصطفى مفتاح
مراجعـة : أحمد سلطان

المحتـــويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

هذه الرسائل الصوفية للإمام الجنيد بن محمد ، إمام هذه الطائفة فى زمانه ، هى الرسائل التى يتطلع العلماء والباحثون فى التصوف إلى كشفها ، وقد بقيت مكتومة طيلة هذه القرون منذ القرن الثالث الهجرى . ففى هذا القرن لم يكن للتصوف كتب تحدد مبادئه وتشرح أصوله ، فى الوقت الذى كان للمعارف الاسلامية من العلوم الأخرى دراسات معروفة وكتب منشورة ، ولكن التصوف كانت مبادئه غير معروفة ولاتزال أقرب إلى الإلحاد والزندقة غير مقبولة عند الناس ، وهذا ماجعل الجنيد وأغلب رفاقه لا يسجلون أفكارهم وآرائهم وابقاءها من الأسرار ، اكتفاء بتبليغها للمريدين عن طريق التلقى .

ويعتبر الجنيد عند علماء التصوف سيد هذه الطائفة ، ومقدم هذه الجماعة ، وإمام هذه الخرقة ، وشيخ طريقة التصوف ، وعلم الأولياء فى زمانه وبهلوان العارفين — كما يصرح بذلك السبكى فى طبقاته[1] (جزء واحد ص ٢٨٠) ويقول عنه جعفر الخلدى من تلامذته : (لم نر فى شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد ، إذا رأيت علمه رجحته على حاله وإذا رأيت حاله رجحته على علمه) ويقول : (قال الجنيد ذات يوم : ما أخرج الله علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لى فيه حظا ونصيبا) ، وقال أبو القاسم الكعبى المتكلم المعتزلى : (مارأت عيناى مثله ، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة لدقة معانيه ، والمتكلمون لعلمه .)

وإذا كان الجنيد فى الحقيقة هو أبو التصوف الإسلامى ، فعلينا أن نرجع إلى هذه الرسائل التى تحوى آراءه ، لنعرف فضله ، وأهم الأفكار الصوفية عنده ، ونتبين السر فى بقائها مجهولة عن الناس . والسبب الأول فى إخفائها هو خطورة هذه الآراء المخالفة لإجماع أهل الرأى وعدم إستقامتها عندهم .

والسبب الآخر ، هو عدم ثقته فى إذاعتها بين الناس ؛ فكان يحدد جماعته الذين يفضى إليهم بها ولا يجرى على تعرفيها للناس ، حتى قيل إنه عند موته طلب من تلامذته أن يدفنوا الأوراق . والسبب الأهم ، هو أن هذه الحقائق لا تسعفها الكلمات والعبارات التى يعتبرها غير كافية لتوصيل هذه الأشارات والتجارب الروحية ، حتى قيل إن كثيرا من الناس لم يفهموها منهم ابن عربى الذى صرح أنه لم يفهم أقواله .

وقد عقد أبو النصر السراج فى كتاب اللمع فصولا عن الشيوخ الذين رُمُوا بالكفر والزندقة والبدع وأعتُقِدَ فيهم الباطل ، وعدّ السراج جملة من كبار هؤلاء الشيوخ أمثال عمرو بن عثمان المكى وأبو العباس أحمد بن عطا وختم ذلك بقوله « وكذلك الجنيد مع كثرة علمه ، وتبحره وفهمه ، ومواظبته على الأوراد والعبادات ، وفضله على أهل زمانه بالفهم والعلم والدين ، حتى قيل له طاووس العلماء ، فكم مرة قد طُلب وأُخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة » ، وشرح ذلك يطول ، وإنما أرادنا أن نذكر ذلك حتى لا يتعقب من أهل عصرنا من يبسط لسانه بالوقيعة فى هذه العصابة .

ثم كانت المحنة التى أصابت هؤلاء الشيوخ ببغداد وهى محنة « غلام الخليل » التى اتُّهموا فيها وحوكموا أمام الخليفة الواثق .

ويكفى أن ننوه بما لقيه الحلاج تلميذ الجنيد من قتله وصلبه من أجل ما أباحه من الأسرار . فضلا عما جرّته آراؤهم فى الوجود الربانى والوجود الانسانى إلى آراء أهل الاباحة الذين استباحوا الحرمات وأهملوا الأحكام الشرعية عن طريق فقدهم وعدم وجودهم حتى لا تجرى عليهم الأحكام .

فلا غروا أن يكون ذلك كله أدعى لاخفاء آرائهم وأسرارهم عن العامة .

أما بالنسبة للدراسات الغربية فى هذا الشأن فقد بقى الجنيد دائما لغزا غامضا . لقد كشفت الطرق التى استعملت فى تحليل تطور الفكر الصوفى

عن فجوة فى تطور التصوف ، بداية من جوبنيو Gobineau حتى هورتن Horten (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) . وجاء جولدزيهر Goldziher (١٨٥٠ ـ ١٩٢١) الذى حلل التغيير من الزهد الى التصوف . ولكن الفجوة من التصوف البسيط والتصوف الكامل للقرن الثالث بقيت من غير مادة كاملة لتفسيرها . وعندما كتب ثولوك Tholuck دراسته الوافية عن التصوف ، قدّر إلى حد بعيد الدور الذى قام به الجنيد ، ورأى أن الجنيد إنتهى أمره إلى وحدة الوجود ، وتبعه فى ذلك دوزي Dozy (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) . وفى سنة ١٨٦٨ شرح فون كريمر Von Kremer (١٨٢٨ ـ ١٨٨٩) نمو التصوف واعترف بأهمية الجنيد ، على الأقل أستاذا للحلاج .

وترك الأمر أخيرا إلى كرمسكى Krimsky (١٨٧١ ـ ١٩٤١) فى سنة ١٨٩٥ الذى أوجز الدراسات الغربية للتصوف ، وقدم خلاصة عن الأدب التركى والفارسى والعربى فى التصوف ، ثم قدّم تحليلا عن تطور التصوف إلى نهاية القرن الثالث ، وأبرز فكرة الكتمان فى الدور الذى قام به الجنيد ، وما قدمه الجنيد فى تعاليمه ودراسته للتصوف الذى وصل به إلى طريقة دينية .

وهذه المرحلة لم تُكشف لفقد المبادىء العملية للجنيد . وإبراز هذه الرسائل يكشف ـ ليس فقط ـ طبيعة ومبادىء الجنيد ولكن تطور التصوف إلى طريقة ، لأول مرة . لكن الرسائل وجهت إلى الخاصة فى لغة غامضة ، فيصعب عليه فهمها بسهولة .

وأخيرا وصل هارتمان Hartman (١٨٥١ ـ ١٩١٨) فى كتابه عن القشيرى إلى أن الجنيد هو الذى أسلم التصوف (جعله إسلامياً) وشكل مبادئه الاصلية ، واعترف بالجنيد مفكرا أصيلا وأنه الحلقة المفقودة فى تطور التصوف ، وأنه فى الحقيقة هو منشىء التصوف الإسلامى .

والواقع أنه لم يكن أمراً سهلا للصوفية أن يوفقوا بين نظرياتهم وبين تعاليم الإسلام ، بين فكرة التجريد والتفريد للألوهية وإثبات وجود خارجى فيما وراء هذا العالم ، وبين فكرة أن الألوهية حالة فى كل شيء وإثبات وجود حقيقى واحد هو كل موجود ، هذه الفكرة التى تنتهى إلى فكرة وحدة الوجود والحلول ، ثم مايتبع هذا من أنه إذا كان هناك وجود واحد ، وأنه ليس هناك عبد ومعبود ، فهل يمكن الحديث عن واجبات وحقوق شرعية لمن لا وجود له ، وكما قالوا : إن العبد اذا وصل صار حراً ، وإذا صارا حراً سقطت عنه العبودية ، وهى فكرة أهل الإباحة .

فكيف استطاع الجنيد وسط هذه التيارات المختلفة أن يحقق التوفيق بين التصوف وتعاليم الإسلام ، وكيف استطاع أن يفلت مما لم يفلت منه غيره أمثال الحلاج وأبى يزيد البسطامى أو أهل الإباحة أمثال رباح وكليب ؟

والحق أن العلماء وأدباء الصوفية قد قبلوا الجنيد وأثنوا عليه وقدروا فضله وأدبه واستقامة تفكيره ، ورفضه لانحرافات أهل الفرق ومجادلات أهل الكلام ، الذين عرفوا بمناهضة أهل التصوف كابن تيمية وابن القيم ، ولكن هؤلاء جميعاً إنما عرفوه من المقتطفات المتناثرة من أقواله ومن رسائله الأخلاقية ومن سيرته الطيبة ، أما مبادؤه وأفكاره فقد بقيت مكتومة ، كما أن فهم عباراته بقيت غامضة غير واضحة .

ومؤلف هذه الرسائل هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز القواريرى ، ولد ونشأ فى بغداد ، وهو من أصل فارسى ، نزحت عائلته إليها من نهاوند بالجبال ، وأنه ولو أن تاريخ ميلاده لم يحدده المؤرخون ، إلا أن حادثات حياته ولقاءاته مع شيوخ عصره ترجح أنه ولد حوالى سنة ٢١٠ هـ . وقد رباه خاله السَّرِى السَّقَطِى بعد وفاة والده ، وكان بيت السقطى يجمع شيوخ الصوفية حوله وفى مجالسه للحديث والمذاكرة ، وكان الجنيد يحضر هذا الحديث ، وتفقه على مذهب أبى ثور ، ولم يدخل

فى علوم الكلام ، وقد زامل كثيراً من علماء عصره والمتصوفة أمثال المحاسبى والذرى ، وأبى سعيد الخراز وغيرهم من هؤلاء الأعلام ، كما كان من تلامذته أمثال الشبلى والحلاج وغيرهم ، وتوفى ببغداد سنة ٢٩٨ هـ .

وكان الموضوع الأول الذى يشغل أهل الفكر والعلم فى القرن الثالث الهجرى هو « التوحيد وعلاقة الإنسان بآلله » فكان هناك المعتزلة (أهل العدل والتوحيد) الذين يعتمدون على العقل فى ذلك ، وكان هناك الصوفية (أرباب التوحيد) الذين يعتمدون على القلب والمجاهدات فى توحيد آلله ، يقول ابن الكاتب « المعتزلة نزهوا آلله تعالى من حيث العقل فأخطأوا ، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا »[٢] وهكذا عالج الجنيد طريقته بالفناءِ فى درجاته المختلفة ، حتى يفنى العبد عن نفسه ولا يبقى إلا آلله ، يقول فى إحدى رسائله :

« والوجه الثانى من توحيد الخاص ، فشبح قائم بين يديه ليس بينهما ثالث تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته ، فى لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الحق له وعن استجابته به ، .. والعلم فى ذلك أنه رجع العبد إلى أوله ، أن يكون كما كان ، إذ كان قبل أن يكون ، والدليل فى ذلك قول آلله عز وجل « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ، قالوا : بلى » . فمن كان وكيف كان قبل أن يكون .... وهذا غاية توحيد الموحد للواحد بذهاب هو[٣] » .

ولما كان فناء الموحد عن وجوده فى وجود الحق قد يؤدى إلى مثل مقالة الحلول أو الاتحاد ، فقد صحح الجنيد هذا الفناء فى آلله برجوع الموحد إلى البقاء بعد الفناء والحضور بعد الغيبة ، وهو المقام الذى يعبر عنه « بالصحو »

فيرجع الموحد إلى وجوده مع بقاء فنائه فى ٱلله ، فهو فان باق ، بمعنى خروج العبد من إرادته ودخوله فى إرادة الحق ، كما عبر عنه بقوله :

« أولئك هم الموجودون ، الفانون فى حال فنائهم ، الباقون فى حال بقائهم ... ومن حقيقة الوجود ، وقع فى حقيقة الشهود ، بذهابه عن وجوده ، وبتفقد وجوده صفا وجوده ، وبصفائه غيب عن صفاته ، ومن غيبته حضر بكليته ، فكان موجودا مفقودا ، ومفقودا موجودا ، فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان ، ثم بعد مالم يكن حيث كان كان ، فهو هو بعدما لم يكن هو ، فهو موجود موجود بعد ماكان موجودا مفقودا ، لأنه خرج من سكون الغلبة إلى بيان الصحو ، وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها ، لاستدراك صفاته ، ببقاء آثاره والاقتداء بفعله بعد بلوغه غاية ماله منه »[٤] .

وبهذا الأصل الذى شرحه الجنيد وهو الصحو بعد الغلبة والحضور بعد الغيبة ، استقامت للمذهب الصوفى معالمه الشرعية وتفادى مقالة الحلول والاتحاد ، كما تفادى حماقة أهل الإباحة أمثال رباح القيسى وكليب الذين « زعموا أن حب ٱلله وقع على قلوبهم وأهوائهم وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم ، فإذا كان كذلك عندهم وكانوا عنده بهذه المنزلة وقعت عليهم الخلة من ٱلله ، فجعل لهم السرقة والزنا والخمر والفواحش كلها على وجه الخلة التى بينهم وبين ٱلله ، لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلة ، كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه »[٥] وتفادت الصوفية غير ذلك من المغالطات المعروفة .

كان هذا فضل الجنيد الذى لاقيناه فيما كتبه من رسائل حتى استحق أن يسمى « أبو التصوف الاسلامى» وإمام هذه الطريقة القويمة .

وهذه الرسائل التى بين أيدينا هى المخطوطة الوحيدة فى استانبول (شاهد

على ٣٧٤ رقم ١٣١٤) وقد كتبت بيد واحدة بخط اسماعيل بن شودكين المتوفى فى القرن السابع سنة ٦٤٦ هـ وهو تلميذ ابن عربى الصوفى المعروف . وقد نشرتها فى دراستى للجنيد لأول مرة فى مجموعة جبّ وترجمتها الى الانجليزية فى لندن .

Ali Abdel Kader. "The Life, Personality and Writing of Al-Junayd. Gibb Memorial Series, New Series 22, 1962 وذلك فيما عدا الرسالة الأخيرة (كتاب دواء التفريط) وهى مخطوطة برمنجهام بانجلترا ، ولم نعثر على مخطوطة أخرى لها .

Mingane Arabic Collection. (Silly Oak Library, No. 905 Folios 109-119.)

وقد وجدنا الجزء الأول منها فى كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى (الجزء السابع ص ٢٧١ – ٢٧٣) وقارناها بها فى هذا الجزء ، وهى تمثل كغيرها من الرسائل الأولى اسلوب الجنيد وعمق تفكيره ، فى حدود الاعتدال والصدق المقصود من أمثال هذه الرسائل .

وبالله التوفيق

على حسن عبد القادر

(١) صحف من كتاب اللمع لأبى نصر السراج ، لندن سنة ١٩٤٧ . ص ٧ – ١٢ .

(٢) رسالة القشيرى ، طبعت ١٩٦٦ ح ١ ص ١٥٨ .

(٣) رسائل الجنيد ، ص ٦١ – ٦٢

(٤) رسائل الجنيد ، ص ٤٣ – ٥٨

(٥) Louis Massignon, Recueil de textes inédits, p. 7

الرسائل

رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

رسالة أبي القاسم الجنيد
إلى يحيى بن معاذ الرازي

رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

* رسالة لأبى القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

(٣/ب)٠

صفا لك من الماجد الجواد جميل ما أولاك . وأخلصك بما خصَّك به وحباك . وكشف لك عن حقيقة ما به بداك . وآثرك بما استأثر به عمن سواك . وقرَّبك فى الزلفى لديه وأدناك . وبسطك بالتأنيس فى محل قربه وناجاك . وانتجبك بجميل أمره وصافاك . وأيَّدك فى عظيم تلك المواطن وقريب تلك الأماكن بالقوة والتمكين والهدوء والدعة والتسكين ؛ لئلا تقوى عليك البدائة الواردة والأنباء الغريبة القاصدة .

فيلزمك لقوة ذلك عليك فى ابتداء خلوصه ، إبهاتُ النهل لما لا يجد لما لا يقال منه محتمل ، فكيف يحتمل ذلك أو تقف العقول بضبط ماهنالك ، إن لم يمسكها بالكلاية ويكنف سرائرها بالرعاية .

فأين أنت وقد أقبل بك كلُّك عليهِ ، وأَقْبَلَ بما يريده منكَ لديهِ ؛ وقد بسط لك فى استماع الخطاب وبسطك إلى ردّ الجواب ؛ فأنت حينئذ يقال لك وأنت قائل ، وأنت مسؤول عن* أنبائك وأنت مُسَائَل ، فى درر الفرائد[1] وترادف الشواهد بدوام الزوائد واتصال الفوائد ، تهطل بعز من المجيد عليك من كل جانب ، فلولا إحلاله عليك النعمة وتمسيكه لقلبك بالسكينة ؛ لذهلتْ عند كون ذلك القلوب ، ولتمزقتْ عند حضوره العقول .

(٤/أ)٠

لكنه جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه ، جاد بالفضل على من أخلصه ، وعاد بالعطف على من اصطنعه ؛ فحمل عنهم ما تحمّله إياه ، وحملوا ماأراذه لهم وتفضل به مِنْ إدراكهم له ؛ جعلنا آللّه وإياك من أقرب أوليائه[2] لديه منزلا . إن ربى سميع قريب .

رسالة أبى القاسم الجنيد بن محمد
إلى يحيى بن معاذ الرازى رحمة الله عليهما

لا غبتَ بكَ عن شاهِدك ، ولا غابَ شاهدُك بكَ عنك ، ولا حُلت بتحويلك عن حالك ، ولا حالَ حالُكَ بتحويله عنك ، ولا بِنْتَ عن حقيقة أنبائك ، ولا بَانَتْ أنباؤك بغيبة الأنباء منك . ولا زلتَ فى الأزل شاهد الأزل فى أزليتك ، ولا زال الأزل يكون لك مؤيدا لما زال منك ، فكنتَ بحيث كنت كما لم تكن ثم كنتَ ، بفردانيتك متوحدا ، وبوحدانيتك مؤيدا ، بلا شاهد من الشواهد يشهدك . ولا غبت لدى(٣) الغيب من الغيب بغيبتك ، فأين مالا أين لأينه ، إذ مؤين الأينات مبيد(٤)لما أيّنة(٥) وإذ الإبادة مبادة فى تأبيد مبيد الإبادات ، وإذ(٦) الاجتماع فيما تفرق ، والتفريق فيما جمع ، فرق فى جمع جمعه ، وإذ الجمع بالجمع للجمع جمع فيما جمعه .

٥(٣٣/ب)

*رسالة لأبى القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه

لازلت أيها الموجود بباب آلله راتبا ، وبه منه إليه لما يحبه منك طالبا ، وله فى آلائه وغريب أنبائه راغباً ، فحبك به عليه فيما يحبه لك ويبلّغك اليه ، باصطفائه إلى مايريده منك ، ليصطفيك فيما يوليك بما ينتخبه لك ويجتبيك ، ثم يبديك فيما يوليك ، ويخفيك فى عزيز مايبديك ، اعلاء لك عند مصادفة النواظر لحقيقتك ، وضَنْ بك عن معرفة القلوب لمكانتك ، وضم لك بالاشتمال عليك إلى مصون منزلتك .

فكنت عند ذلك بحيث أرْمُسُ المكان مكونه ، وطمس الدلائل عليه من وهم متوهمه ، فكنت فيما هنالك بغيب لغيب ، انتفت عن حقائقه الشكوك والرِّيَبْ ، كما أن الحقائق بحق اليقين تُعْلَمْ ، وملاحظة[٧] العيان لها محتجبة لا تتوهم ، ومن وراء ذلك توحيد الموحد وربانية الألوهية المتفرد على أوّلية أزلية وبقاء سرمد الأبدية ، وهنالك ضلت مقاليد الفهماء ، ووقفت علوم العلماء ، وانتهت إليه غايات حكمة الحكماء ، وهذه غاية لما هذا نعته وسنا ذروه ، وانتهت[٨] الصفة إلى صفته ؛ ومن وراء ذلك برزخ إلى يوم يبعثون .

وإذا بِعُثَ الخلقُ بعد انقضاء مدة برزخهم وأحيوا[٩] لحقيقة البعث بعد ميتهم ، عرفوا إحياء الحيِ لمن أحياه ، وتركه فى سرمد البقاء لمن أبقاه ، وفيما أشرت به من ذلك شرح يطول وصفه ، ولا يحتمل الكتاب نعته على كنهه .

يا أخى رضى آلله عنك ، وصل كتابك السار ظاهره وباطنه وأوله وآخره ، وسررت بما ضمنته من علم غريب وحِكَم عزيزة وإشارات واضحة منيرة ، ولم يخف علىّ ما عرضت به مع ما صرحت به ، وكل ذلك على علمى به وسَبْقى إلى فهم ما قصدت له بَيّن عندى ؛ * إلى أين موئله ، وإلى أين نهايته ومصدره ، ٥(٣٤/أ) ومن أين أوله وآخره ، وكيف على من جرى الحكم به ؛

لا عدمتُ استعصامكَ به منه ، وقيام عصمتك به له ، غلبت غوالب قاهرة ، وبدهت بواده باهرة ، أودت بقوة سلطانها ، تقاوم سلطانها بالتقاهر فيما قام منها ، ثم حمل بعضها على بعض ، فركضت متوارية ، وهى فى الحقيقة بالقوة متظاهرة ، تحكمت بمنيع عز التصاول ، بلا أين ولا إلى أين متكون بكنه نهاية ، ولا هواء[10] إلى مواضع[11] محدودة ، فتعرف لها غاية ، إبادتها إبادة مستظلمة ، وسطوتها للكل منتظمة .

هيه ثم ماذا بعد ذلك ، نصبهم غرضا للبلاء ، وعرضهم للحَيْن والجلاء ، وأنفذ عليهم المكاره بماضى القضاء ، وجرعهم الموت صرفا ، وأجرى عليهم بقدرته ما يشاء ، فمن بين متمانع مستعصم مغلوب ، ومن بين مستسلم مسلوب ، فلاكان[12] المستسلم فيها باستسلامه ناجيا ، ولا المتمانع بالاستعصام من طلبها خارجا ، حُبِسَتْ أنفاسهم فى أنفاسهم ، فهم على فرط البلاء كاظمون[13] ، وتغصصوا بتجرُّع المر المتلف ، فهم على التلف مشرفون ، فلو أطلقت الأرواح أن تفيض لكان فى ذلك راحتها ، لكنه فى الموت ألم مذاق الموت حابسها ، لا يأملون بعد الموت فرجا ، ولا لهم قبل الموت من فرط البلاء مخرج[14] .

يا أخى هؤلاء قوم هذه بعض صفاتهم ، وكرهت الإطالة عليك فى نعت حالهم ، وسمع سامعون ببعض نعت مابلغ القوم إليه ، وما القوم من حقائق ذلك كائنون[15] لديه ، فسموا بالهموم انتهاء الى مطالبته ، قبل النزول بالكون فى محض حقيقته . وشبه عليهم فيه كائنات المحظى[16] ، وخفى عليهم المعزز[17] من كون التولّى ، وجرت عليهم * أحكام أولئك فى أحكامهم ، واستمر مترادف الزلل على مضى أيامهم ، وكان عندهم أنهم أولئك وليسوا بأولئك ، وقوى عليهم موهم حالهم أنهم فيما هنالك . هيهات هيهات ما أبعد من ذلك منالهم ، وما أعظم مايجرى عليهم من الخلل فى توهم حالهم ، أعاذنا آلله وإياك يا أخى من كل حال لا تكون لمحض الحقيقة متصادفة ، ولا تكون لما أحكمه الحق مؤالفة .

(٣٤/ب)

ومع ماذكرته من هذه الحال ومافيها ، فهى واسطة بين حالين ، والذى جرى منها فرق إذا انكشفت بين منزلتين ، وليس مراد الحق بها هى بعينها ، لكن ذلك على صحة كونه ليكشف بها ما وراءها . وعلم الأكابر ومنازل العظماء وأماكن الحكماء وصريح حقيقة فهم الفهماء بعد عبور ذلك وتجاوزه إلى مالو سنح سانح لتعبيره وجرى الحكم ببعض وصف تفسيره ، لـ « خَشَعَتْ الوُجُوْهُ لِلْحَيِّ القَيُّوم وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً » (١٨) .

يا أخى لا عدمت إشارتكَ بالحق على مابَسَطَ الحق إليك(١٩) ، وقرت عينى فيك ببلوغ النهاية إلى ما أطلعكَ(٢٠) الحق عليه . أنت بعض أناسي ، وشركاء رغبتى وكبير من كبراء إخوتى وَخِلٌ من أخلَّاءِ قلبى بخالص محبتى . ألسْتَ أحد من بقى من كبراء إخواننا وأحد المشار إليهم من أبناء جنسنا ، وَمِنْ عظمة نعمة آللہ علينا فيه فيما وهبه لنا منه .

لا تدع يا أخى متفضلا متطولا محسنا مكاتبتنا ومواصلتنا نستريح عند ذلك الى طيب خبرك ونتفرج ببقاء أثرك ونبتهج بعظم ماوهبه آللہ لك ، فإن كان ذلك عندك مما نستحقه فعلته ، وإلا جعلتَ ذلك تطوعا منك علينا وامتنانا يصل منك الينا ، وعليك سلام آللہ ورحمته وعلى جميع إخواننا .

الهوامش

(١) م : الفوائد .
(٢) م : أولياه .
(٣) م : لدا .
(٤) م : مبيدا .
(٥) م : أينته .
(٦) م : واذا .
(٧) م : وملاحطة .
(٨) م : انهت .
(٩) م : واحدا .
(١٠) م : ولاه .
(١١) م : مواضح .
(١٢) محذوفة من المخطوطة .
(١٣) م : كاظمين .
(١٤) م : مخرجا .
(١٥) م : كائنين .
(١٦) م : المحطى .
(١٧) م : المعزر .
(١٨) سورة طه: آية ١١٠ . وصحتها: «وعنت الوجوه..» . .
(١٩) م : إليه .
(٢٠) م : اطلع .

كتاب الجنيد إلى
عمرو بن عثمان المكي
رحمهما الله تعالى

نسخة كتاب الجنيد الى عمرو بن عثمان المكى

رحمهما آلله تعالى

(٣٥/ا) * أُوتِيْتَ من العلم والحكمة أعلى منازله ؛ وتَنَاهيْتَ من الرسوخ فى المعرفة إلى غاية أماكنها ، وأُدْنِيْتَ فى مجالس القرب إلى أزلف مواطنها ؛ وتُبِّوىءَ بك من كمال جوامع الأنباءِ إلى استيعاب معالمها ، فجرى ذلك لك بالتمكين وأنت مستبصر ؛ وعلوتَ فى سمو انتهائه مشرفا مستظهرا . قد تضمنته بقوة الاشتمال عليه فأفضى[١] اليك ؛ واستغنيت عن السعاية إليه بمنيع صولة التمكين ، لأنك[٢] لذلك كله بواضح الحق مستبين ؛ ولأنك فيما اخْتلِفَ فيه من العلم على صحة اليقين .

وجعلك آللّٰه مع ذلك ممن سعد به إخوانه ، ونالوا البُغْيَةَ من العلم بوصفه وبيانه ، وانكشفت لهم الحقائق المشفية من تعبير لسانه ، وأنس منهم من غاب أو حضر بشرف مكانه .

بل جعلك آللّٰه نورا يملأ بسنا ضيائه الخافقين ويلوح مضيئاً طالعا على سائر الثقلين ؛ فينال عند ذلك كل فريق منهم حظه الكامل ويصل إلى مراده الشامل الفاضل ، حتى تكون هذه الظواهر أموره التى ألبسها وبوادى أحواله التى أريد بها ، وقد نظر فيها فوقفت به الضنه عن ظهوره ، وتضمنته الصَّوْن والحُجْبَة والكتم عن حضوره .

وذلك سر تضل العقول عن الإشارة إليه ؛ وتنقطع الفهوم عن شىء من الورود عليه ، هيهات هيهات طمست عن ذلك أطواق كوامل العلماء ، وضلت عنه مقاليد أكابر الفهماء . فهو فى تفرد توحده عليٌّ ، ويعزل قيومته تجرده . فكم من مومىء إليه بتوهمه ، ومن مظهر التحقق[٣] به بالطيب عنده أن يعرض لينطق به ، تلجلج لسانه وتحير عند الإيماء به إلى بيانه . ويظنُ الجاهل إذا

سمعه أنه قد أصاب وهو فى عمياء مظلمة عند الخطاب ، يكون فى دعواه وحقيقة الحق تدفعه ، ويوهم بوصفه السامع* فى القصد إلى مايقع الفهم به فى النفاذ فيما أمر به ، والترك لما نهى عنه . *(٣٥/ب).

وذلك بعض حق العلم على من حمله ، فمتى اقتضيت لنفسك ، يقع العلم لها قبل إعطائك منها حق ما للعلم . واجب احتجب عنك نفعه ونوره وبقى عليك رسمه وظهوره ، وذلك حجة للعلم عليك وإن كان رسمه ظاهرا[٤] لديك .

فاحذر أيها الرجل الذى قد لبس من العلم ظاهر حليته ، وأومأ المشيرون إليه بجميل لبسته وقصر عن العلم بمحض حقيقته ، ماوقعت به الإشارة إليك وانبسطت به الألسن من الثناء عليك فإن ذلك حتف لمن هذه الصفة صفته ، وحجة من الله تعالى عليه فى عاقبته .

فلما سمع العالم من الحكيم مانطق به ، وقرع سمعه بيان ما شرحه له ، أطرق مفكرا ثم انتحب بعد الفكرة باكيا ، فطال بكاؤه وعلا نحيبه واشتد اضطرابه ، فأقبل عليه عند ذلك الحكيم فقال له : الآن حين بدت شمس الحكمة تطلع عليك وواضح نورها يصل إليك ، وعند ذلك تنجلى عنك ظلمات ما أعرضت عنه من علمك ، وأغفلته من موانع العلل لفهمك ، وإنى أؤمل بذلك صلاح ما أفسدته والتلافى لحفظ ماضيعته .

فلما سمع العالم إقبال الحكيم عليه بذلك ، سكن من اضطرابه وهدأ من شدة بكائه ، ثم أقبل على الحكيم فقال : زدنى من دوائك هذا فقد لاوَم جراحى ، وقويت الأطماع فى الوقوع لحجتى ، فتخلصنى بلطيف حيلتك ورفق حكمتك من وبال ما أنت أعلم بماكَمُن منه فى سرى ، واستتر عنى من خفىِّ هوى الشر ، فقد انطوى عنى فى سالف الأوقات الماضية خفيَّ مستبطنات كانت فى السرائر كامنه وكشفْتَ لى عنها بجميل نعتك وأوقفتنى على مابطن منها بلطيف رفقك .

(٣٦/أ)● قال له الحكيم : تحمد ٱللّٰه أبداً فيما أنعم به عليك من اطلاعه إياك * على ذلك وإيقافه لك على مواضع خللك ، فكن بالذل بين يديه خاضعا ، وافتقر إليه بالاستكانة والخضوع ضارعا ، فإنك لا تَخْفَى مناجاتك له سامعا ، وإنك إذا كنت كذلك كان لك إليه شافعا ؛ وأعلم مع ذلك أن ألَسنة الحكمة لا تنطق إلا من بعد أن يؤذن لها ، وإذا نطقت وقع النفع لمن أُسمع بها ، وإنما مثل ذلك من فضل ٱللّٰه على خلقه ، مثل غيث سمائه الذى إذا أنزله وأحيا[٥] به ميت أرضه أما سمعت ٱللّٰه تعالى يقول « فَانْظُرْ إِلى آثَارِ رَحْمَةِ ٱللّٰه كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر »[٦] وكذلك يحي ٱللّٰه تعالى بألسنة الحكمة ما أمات الإعراض عنه من قلوب أهل الغفلة .

قال العالم للحكيم : أجل إن الذى وصفته كما وصفته ، وإنى أؤمل من الذى انتدبتني بلسان حكمتك وجاد عليّ تعطف رحمتك ، أن تستنقذنى من وبال التقصير بدلالتك ، وتخرجنى من ذلة التخلف بمصادفةْ رؤيتك .

وقد علمت الآن أن أربى إلى التكشف لى عما لزمنى من وبال تركى للعمل بعلمى وتخلفى عما أوجبه حق العلم عليّ ، وعما استتر فى نفسى وانطوى بالاستخفاء فى سرى مالم أكن له مدركا ولا بما معى من العلم عليه واقفا ، وقد أشرقت الآن بقدر ما أيّدنى ٱللّٰه تعالى به منك ومنَّ بى عليّ ، وكشفه لى بأسبابك على بعض ذلك ، فبعلمى بالقليل من ذلك علمت أن عليَّ منه كثيرا لم أدركه ، وخَفيّ مستبطنات لم أره ولم أعرفه .

فاكشف لى أيها الحكيم من أمرى عما أنت أعلم به منى ، فإن الطبيب أعلم بداء السقيم من نفسه ، وأحق أن يصف له من الدواء مايكون سببا لبُرْئه[٧]

قال الحكيم : قد بدت مطالعات الفهم تلحقك بمعرفة ما عليك من ذلك ولك ، وبدت أوائل* معانى الصحو تلوح لعقلك ، وبدت أوائل الإفاقة (٣٦/ب)● تسعى[٨] بحركاتها لبعض مافى سرك . واعلم أن ضرر الأديان أشر من ضرر

الأبدان ؛ وسقم الجوارح والأجسام أسهل من سقم القلوب والأفهام ؛ لأن علل الدين والآفات المعترضة على اليقين سبب للبوار ، وموردة لأهلها على النار ، مؤذية الى سخط الجبار ، وماعدا ذلك إلى غيره وكان واقفا فيما سواه من الأمراض والأسقام الكائنة فى الجوارح والأجسام ، فذلك ضرر يؤمل برؤه ويزول مكروهه وشره ويرجى من ٱلله تعالى ثوابه وأجره . وأعلم أن الطبيب العالم المجرب والحكيم الناصح المؤدب أعلم بدنف الأبدان والعلل المخامرة بآفاتها للأديان ، لأن المعبر عنهما يعبر عما يجد من ذاته ، والواصف لما حلّ به من بلائه ، مقصر عن بلوغ نعته لذلك ، مختلف عن الوصف لما هنالك ، ووصف المتطبّب الخبير المجرب البصير يكشف لأهل الأمراض عما وجدوه ، وينبئهم عن زوال مافقدوه ، حتى كأن الموصوف بعبارة اللسان منظور إليه بحقيقة العيان .... وإنى أصف لك على أثر ذلك أموراً تقوّى لك حالك وتبلغك غاية البغية من سؤالك والقوة بالله العظيم .

أعلم أيها المنسوب إلى العلم بوقوع الصحو لك تتبين حيرة السكرة . وبكون الإفاقة تقف على وقت الغمرة ، وبصحة الذكر ينكشف لك وبال الغفلة ، وبالسلامة والعافية يتميز لك وقت العلة .

فاعلم أن ذلك كله مشغل فى حين كونه عن حقيقة معرفته ، ضار لأهله بما لبسهم منه عن وجود حيرته إلا بحمله ، عِلمٌ مزاجه اللبس والظلمة ليثبت ٱلله تعالى بذلك عليهم الحجة .

فخلّ عن نفسك أيها المعنىّ بها والحريص على تعجيل* استنقاذها وبال السكرة والغمرة والغفلة والحيرة باستعمال ما أصفه لك ، والاسراع إلى ما أَحُثُّكَ عليه ، والمبادرة إلى ما أشير به إليك ، فإن صحة الصدق وجودة القصد يؤديانك إلى المحل الذى هو باب المدخل فيما تحبه والمخرج مما تكرهه ، ولن يحجبك عن بلوغ ماتريد – والقوة بالله – إلا بتقصيرك عن المجاهدة فى واجب حق السعى عليك . (٣٧/أ)

فاحذر ثم احذر أن تكون على شيء من ذلك مقصراً ، أو ألفاك وقتا وأنت عنه فاتر راجع ، فإن مطيتك الموصلة لك الى بغيتك صدقك فى إقامة المناصحة فى محل مجاهدتك ؛ فقد أوقفتك على وجه المنهج والمدرجة وقربتك من المسير على أوضح المحجة .

وأعلم أيها الرجل الحاذر المحثوث المبادر أن الإقامة المانعة لك ولنظرائك بعد الحمل للعلم وطول السعاية فيه ودوام العناية بجمعه والاستكثار من الحمل له ، الميل الى التأويل والدخول به فيما خفى من النفس من الميل إلى الدنيا والركون إليها .

وهم فى ذلك على معانى مختلفة : فمتأول متبين الأغماض والأعراض فيما استكن فى خفايا نفسه ، فمضى فيه على ما عليه منه والعلم بنكته . ولا يتركه فى كثير من الأوقات ويستتر ذلك عليه فى بعض أوقاته .

ومتأول قصد الصحة والتحقيق فيما تأوله ، ولحقه فى ذلك الميل من حيث لم يستدركه ، وانطوى عليه ما عليه فيما قصد له ، وكان عنده الذى عمد له وتأوّله أولى به من غيره فمضى على ذلك ، وهذا نعت حاله ، فكان مما قصد له فى التأويل على معنى الصفة الأولى(٩) التى تُبين لصاحبها خفي أغماضه وطوي مافى نفسه إذ جعل العلم ذريعة وسبباً إلى ذلك ، فلبس حليته وتحمل بلبوسه وأظهر بالتأويل أثر العلم* ودعا إليه ونصب نفسه للشهرة به ليعلم الناس ما علم منه . *(٣٧/ب)

فلما عُرف موضعه ومكانه وسُمع منه وأقبل الناس عليه نحوه ، استحسن اجتماع العوام عليه وثناء الجاهلين بما ليس فيه ، فقوي عليه بذلك سلطان التأويل ، وأوهم نفسه حظ اجتماعهم وانبساط ثنائهم وكثرة تعظيمهم وحسن قبولهم له ، بما ظهر من نفسه وتحسّن به ، مما يعلم ٱلله تعالى منه خلاف ما أسّره وأضمره ، فلما استوى له ذلك عند العوام والجهلة ، وكثرة حمد الحامدين

بالغلط والغفلة ، مال إلى مافى نفسه من أخذ العوض على مانشر من علمه ، ورضى بما تعجله من ذلك ثواباً لعلمه ، وصار بائعا للعلم بالثمن اليسير والخطر القليل ، ورضى بالدنيا عوضا من الآخرة ومن ثواب ٱللّٰه تعالى على الأعمال الصالحة ، فى جملة من ذمَّة ٱللّٰه تعالى فى كتابه وقصّ علينا من بيانه على لسان نبيه ﷺ . قال ٱللّٰه عزّ وجلّ « وإِذْ أَخَذَ ٱللّٰه مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَـهُ فَنَبَـذُوْهُ وَرَاءَ ظُهُوْرِهِـمْ وَاشْتَـرَوْا بِهِ ثَمَنـاً قَلِيْـلًا فَبِئْسَ مَا يِشْتَرُون »[١٠] . وقال تعالى « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خَلْفٌ وَرَثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُوْنَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُوْلُونَ سَيُغْفِر لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِم عَرَض مِثْلُه يَأْخُذُوهُ »[١١] . فذمّهم ٱللّٰه تعالى وقصّ علينا فى كتابه وصرّح بذلك إلى العقلاء من عباده ، وبيّنه بياناً محكماً قوياً لئلا يكون لمحتج فى ذلك حجة ، ولا لقائل فيه مساغ ولا مدافعة .

ثم إن ٱللّٰه تعالى قصّ علينا قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبرنا بما نعتهم به وبما أخذ عليهم من ترك الدنيا والتشمير الى الآخرة ، وألا يأخذوا على شيء من ذلك ثمناً ولا يريدون عليه أجراً . ولأن حق العلم وحق تأديته إلى الخلق ألايكون لشيء منه جزاء إلا ثواب ٱللّٰه عزّ وجلّ عليه ، والجنة التى جعلها دار من (٣٨/أ) اتقاه وأطاعه قال ٱللّٰه تعالى لنبيه عليه السلام : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمتَكَلِّفِيْن »[١٢] . وقال تعالى « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الَموَدَّةَ فِى القُرْبَىٰ »[١٣] .

وكذلك قصَّ علينا فى قصص الأنبياء عليهم السلام ، قال نوح « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أُرِيْدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلى أَنْهاكُمْ عَنْهُ »[١٤] وقال « إِنْ أَجْرِى إِلّا عَلَى الَّذِىْ فَطَرَنِى »[١٥] . ومثل هذا كثير فى كتاب ٱللّٰه تعالى .

وهذه سيرة الأنبياء عليهم السلام فى الأمم وسيرة العلماء فى الناس ألا يأخذون[١٦] على شيء من العلم ثمنا ولا يطلبون على شيء بما يعلمون أجراً وسيما (ما) أخذه العلماء على العلم سحتا وسيما ما أخذه الربانيون والأحبار

مع نهيهم عن ذلك فقال تعالى « لَوْلا يَنْهَاهُمْ الرَّبانِيُّونَ والأَحْبَار عَنْ قَوْلِهُم الإِثْم وَأكلهم السُّحْت لَبِئسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُوْنَ »[١٧] والأخبار فى النهى عن ذلك كثيرة والاستقصا فى ذلك من الحجة يطول وصفه وقد تبين لك بعض مافيه كفاية وبلاغ وآلله الموفق .

وأما الطوائف التى تأولت ورأت أن الذى تأولته هو الحق فإنهم قوم لحقهم الزلل من حيث غاب[١٨] عنهم علم الحقيقة ؛ وناهم من المشكلات التى لا تَبين لأهلها إلا بعد التورط فيها والانغماس فى مكروهها ؛ جعل القوم أئمتهم فيما تأولوه رجالا[١٩]قلّت مناصحتهم لأنفسهم ولم يصادفوا صواب الحقيقة فيما عمدوه ؛ قالوا : بالخلق إلينا فيما عَلِمناه أشد الحاجة ؛ وعلمُنا إقامة الحق فى سائر الخلق ؛ فمن ذلك تقديم الأئمة والمشورة عنهم والتقوِّى بهم .[٢٠] وكذلك الأمراء والرؤساء وعظماء أبناء الدنيا .

فجعلوا السعى الى الخلفاء والأمراء والحكماء وعظماء أبناء الدنيا عملا لهم يحتسبون به ويؤملون ثوابه ، وجعلوه من أجلّ الأعمال واعظمها قدراً ، وأوفرها عندهم ثواباً ، فحملوا العلم إليهم وطرقوا به أبوابهم ، وسعوا بما حملوه منه إلى من لم يطلبهم له ولم يدعهم اليه ولم يعرفهم به * فلحقهم فى أول الأمر ذلّ السعاية ، والتوسل إلى الحُجَّاب ، ومهانة الوقوف على أبوابهم ، فمن بين مأذون له ومن بين مردود ، قد لحقتهم المذلة ، وعلتهم العقوبة ولبستهم الذلة ، ورجعوا بخضوع المذلة . (٣٨/ب)

فلم يزالوا كذلك فى نَصَبِ الغدو والرواح ، وذلك سبب الهلكة والاجتياح ، حتى وصلوا الى الذى قصدوا ، ونسوا الأله الذى عبدوا ، وأوردتهم الغفلة والنسيان موارد الأموات ، وغمرتهم كثرة العلل والآفات واتصلت بأبصارهم وقلوبهم فتنة ما أعد أبناء الدنيا لأنفسهم وآثروه على أمور آخرتهم من بهجة رونقها ونضرة زينتها ولوعة زهرتها .

واعلم أيها الباحث عن واجب العلم وشرفه ، والطالب للمصافاة بخالص الأعمال لسيده ، أن أقْدَام القوم عن مناهج الحقيقة انحرفت ، وأن قلوبهم على صحيح الإرادات ما استوت ، وأنهم مالوا بخفى ما فى النفوس على جميل ما أظهروه وإلى محبة علم الخلق به وتعظيمهم عليه وإجلالهم من أجله . وأحبوا اجتماع الخلق عليهم وإشارتهم إليهم[٢١] ، حتى تصوّب أراؤهم وتصدق أقوالهم وتكبر غايتهم ويتصل الثناء لهم ؛ وإن قصر عن شيء من ذلك عنهم كرهوا وإن لم يقع لهم ما يحبون[٢٢] غضبوا ، ولا تسل عن فرط الغضب منهم والرضا والتعتب منهم على من خالف مواقع الهوى . وصفهم بكل ماهو فيه يطول به الشرح ويطول به الكلام ، وقد شرحت لك من وصفهم ما انبسط به لسانى . وأجرى لك من نعتى وبيانى وفى ذلك كفاية .

فالبس الآن أنت جلابيب الحذر وتدرع بأدرع الخوف ، وخذ على نفسك جُنة التقوى ، وقم لله تعالى على نفسك بدوام الرعاية ، ودوام التفتيش وشدة المحاسبة وجودة التحصيل وصدق البحث ، وصل سرّاً* مع ذلك بدوام الذكر وقَوِيِّ الفكر . (٣٩/أ).

فكن ممن جاهد فى آلله عزّ وجلّ حق جهاده ، وممن أثنى آلله تعالى عليه من صالحى عباده ، مع مايقع لك من الوعد الجميل والثواب الجزيل . قال آلله عزّ وجلّ : « وَالذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإِنَّ آللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْن »[٢٣] وقال آلله تعالى « وَلَوْ أَنَّهم فَعَلُوا مَا يُوعَظُوْنَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِبيْتاً »[٢٤] .

فهاتان آيتان موجبتان لمنالات الخير ووقوع الهداية والرشد ، فخذ بحظك الأوفر من العمل بهما واللزوم لما أمر آلله تعالى فيهما . وكن على حذر من موافقة شيء مما تقدم به النعت من ذلك التأويل وخطأ الرأى ، فإن ذلك مؤدى إلى إحباط العمل وشدة الندامة فى المنقلب .

قال له العالم : أيها الحكيم قد أتيتَ على الذى فى نفسي ، وبلغتَ مدى ماكان يجول فى صدرى ، وزدتَ على ذلك من الوصف أشياء عرفت فضلها ، وانكشفت لى صواب العلم بها ، وأرجو أن يكون ذلك من فضل ٱلله تعالى ورحمته لى ، وقد جعلك ٱلله تعالى سببا لتنبيهى على أمور لولا مِنَّةُ ٱلله تعالى عليّ بك فيها لذهب بى التقصير عن العلم بها ، حيث ذهب بمن تقدم وصفك له ، فاوقفنى حقيقة علمك بها على زلله وخطأ رأيه .

وقد أنعم ٱلله عليّ بما أيّدنى به منك ، وعظّم عندى قدر ماجعلك ٱلله له أهلا وموضعا من شرحك لما تقدم من نعته ووصفه ، من أحوال الطبقات الثلاثة المتأولين ، وماوقع لهم من الخطأ فى القصد والميل بالعمل الى غير منهجه ، والى الانحراف فيه عن سواء السبيل وقد احتجت أن تصف لى العاملين لله تعالى بحقيقة العلم * القائمين بحقه ، الصادقين فيما حملوا منه وفيما قلدوه من تأديته ، (٣٩/ب) الممدوحين بنشره وبما نقلوا الى من دونهم منه ؛ والمحتسبين فى تعليمهم الناس على صحة الإرادة وصلاح[٢٥] النية وجميل السيرة ، الذين لم تمل بهم الأطماع ولم يفتنهم الاختداع ، ولم تعرج بهم الأهواء ، ولم تسترقهم إرادات النفوس ؛ ولم تعطف بهم الدنيا ؛ ولم يجر عليهم الزلل والخطأ ، وكانوا فى ذلك كله على صحة المعنى .

قال الحكيم : ابشر بما فتح ٱلله تعالى لك من باب السؤال ، ويسرك له من صحة المقال ، فإن ذلك إن شاء ٱلله تعالى سبب لك إلى ركوب الأعمال ومباشرة فى حقيقة قصدك ، واجعل توسلك إلى الحكمة واستدعائك جميل الأفعال ، ومؤديا لما أؤمله لك الى تمهيد صدقك ، فاخلص[٢٦] الإرادة لله تعالى . ما تحب منها تحصين سرك من العلل المانعة عنها ؛ واصلح الضمير بإجمامه لما يجب لها ، فإن الحكمة لمن اشتملت عليه فيها الرغبة ، واستولت على خالص سره المحبة ، أشد عطفاً وحنيناً وميلًا من الأم الشفيقة[٢٧] والأب الرفيق .

وكأنى مع ذلك أرى سحابا من العلم غدقةً منبسطةً عليك ، مونقةً قد أظلك غمامها ، وقويت لك الآمال باستتمامها ، فاستمطر[٢٨] الغيث الكائن فيها بدوام الوقوف بحضرة فنائها ، وأدم الاستغاثة بمنزِّل الغيث ومنشر السحاب وكاشف الضر ومعتق الرقاب ؛ واعلم أنه جلّ ثناؤه يحيى بقطرة من غيث رحمته ، موات ما أنزلها عليه من بريته ؛ فتحرَّى[٢٩] طلب الحياة تكون السقيا ، فإن أوائل تلك الغمام توجدك الشفا ، وإن غدق مابها يغسل عن سرك الميل الى الدنيا ، ومباشرته بجسمك * يغسل عنك سائر الأدواء ، وذوقك لسائغ طعمه يميت من نفسك الهوى . (٤٠/أ)

واعلم أن آللّه تعالى إذا أراد عبدا سهل له السبيل ووطَّأ له التثقيل[٣٠] وأسرَع به فى الترحيل وبلّغه المنزل الفضيل ومنحه الحظ الجزيل . وإنى أؤملك من الذى عرضك لنجح السؤال وصحيح القصد فى المقال أن يبلغك بفضله عليك ورحمته إياك ، منازل المنتجبين من أوليائه ، والأصفياء المستخلصين من عباده .

وأنا واصف لك إن شاء آللّه تعالى ما سألت عنه ، من نعت أهل الحقائق من أهل العلم ، العاملين به ، الصادقين فى القصد اليه ، المجتهدين فى إقامة حقه ، المريدين للعلم لما وجب عليهم منه ، الذين لم تفتنهم فيما قصدوه أطماع الدنيا ، ولم تمل بهم عن الأخذ بحقيقته ، ولم يستفزهم الغواة من الأعداء ، « أوَلَئكَ حِزْبُ آللّه ألا إنَّ حِزْبَ آللّه هُمُ المُفلِحُون »[٣١] اعلم أن أول ما أوتى[٣٢] المحققين من أهل العلم من العمل فى أول الطلب اصلاحُ النية وصحة المراد والموافقة فيه للنفوس فيما بدا من إرادة الطلب ، فلم يبيحوا أقدامهم السعى ، ولم يتحركوا فى ذلك بالجوارح ، إلا من بعد ما أحكم جميل النظر لهم بالانبساط فيه ؛ فسعوا فيه على أصل ما أدبهم العلم به فى أول الأمر ، ومضوا على صحة الحال وشهادة العلم بذلك ؛ وألزم صحة مايبدؤ[٣٣] به الحق قلوبهم ، الإشفاق والحذر والتقية ، فضمّهم وجود ذلك ، وألزمهم حصر الجوارح وضبط السرائر ودوام الصمت ، وخافوا مع ذلك أن يكونوا قد قصروا عن واجب حق السعى فى

طلب العلم ، واشتد تحصيلهم على النفوس ، وصحبهم جميل الذكر ودوام
(٤٠/ب) الفكر * فى مواطن السعى فحماهم ذلك عن الانبساط عن معاشرة الطالبين له ،
والساعين معهم فيه فكانوا بحال والحاضرين معهم بحال ، كلما بدا من غيرهم
لغو أعرضوا ، وكلما بدا من سوا هم غفلة أو لعب خافوا وحذروا ، وكلما
ظهر لهم من غيرهم مزعج يجرى الى تأكيد حالهم وتشديد ضبطهم لما عليهم
يدعون لمن حضرهم بالسلامة ، ويحبون لهم الصلاح والاستقامة ، لا يؤذون
الناس ولا يحقرونهم ولا يغتابونهم ولا يذمونهم ، بل يشفقون عليهم إذا رأوا
منهم الزلل ، ويدعون لهم إذا بدا منهم الخلل ، يعرفون المنكر وينكرونه
ويتجنبونه ، ويعرفون المعروف ويحبونه ويستعملونه ، لا يزدرون المقصّرين
لكثرة وجوده ، ولا يغمصُون[٣٤] مَنْ دونهم لما به من حالهم حمدوه ، بل
يعرفون ذلك بدلالة العلم عليه ، ولا يخفى عليهم من القوم مانسبهم الحق اليه .
فصواب ذلك وخطؤه لهم بالعلم مميز[٣٥] والسلامة من رؤية مكروه ذلك لهم
صاحب[٣٦] ، وفيما ألزمهم الاشفاق والتقوى شاغل[٣٧] ولهم على طلب العلم
مقبل[٣٨] ، ألسنتهم بحمد ربهم عند سماع العلم ناطقة ، وقلوبهم الى اعتقاد
العمل به مبادرة ، وآذانهم بحسن الإصغاء اليه سامعة ، وأبدانهم بالخدمة لله
تعالى ساعية ، أحسنوا على جميل السيرة جمعه ، وبالوفاء بفضل آلله تعالى عليهم
فهمه ، ولم يزالوا بدوام السعى اليه وشدة الإقبال عليه وبكثرة اللزوم لمن العلم
حاضر لديه ، حتى أخذوا منه بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر ، فلما بلغوا منه
الى مابه يستعينون ، وغاية ما اليه يحتاجون ، وبحقائقه فى سائر الأوقات
يعملون ، رجعوا الى تفتيش ماكتبوا والى البحث عما منه طلبوا ، فكان مانعاً
لهم من السعاية[٣٩] جامعا لهم الى الخلوة بالعبادة ، ووقفتْ بالناس اليهم
(٤١/أ) الحاجة ، وعرف موضعهم بجميل الإرادة وعرف *أماكنهم من العلم ؛
وشرفت أحوالهم من الفضل ، وانبسط ذلك ونشأ وظهر ذلك وبدا ، فمن بين
خال بعلمه متشاغل عن الخليقة بعبادته مؤثر[٤٠] للعمل فيما فتح آلله تعالى عليه

منه ، ولا يريد بإدامة الخدمة لله تعالى بدلا ، ولا بالخلوة بما فتح آلله تعالى له من ذلك حولا ؛ ومن بين من حضرته فى نَشْرِهِ العلم النية ، وقويَت له على تعليمه العزيمة ، وسنحت له فى ذلك رؤية الفضيلة ، فانبسط فى نشر العلم محتسبا ، وكان فى العمل لله تعالى بذلك مخلصا ، يرغب الى آلله عزّ وجلّ فى جميل الثواب ، ويؤمِّل من آلله تعالى جميل العائدة فى المآب ، مصحوبا(٤١) فى ذلك بمصادفة الصواب ، إذا قال نطق بقوة العلم ، وإذا سكت سكت بوقار الحلم ، وإذا قصد الى البيان قرَّب منال الفهم ، إذا كثروا عليه أحب نفعهم ، وإذا تفرقوا عنه نصحهم ، يؤدى اليهم ماحمل من العلم بلسان فصيح وبيان صحيح ، بقلب نصوح وقول صادق ، ولا يعجل على من جهل ، ولا يكافىء من زلّ وأخطأ ، ولا يواقف بالمرآءة(٤٢) أحدا ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويحسن إلى من أساء اليه ، ويتجاوز عمن يتعدى عليه ، لا يريد على شىء من أعماله من الخلق أجرا ، ولا يميل إلى مَدحةٍ ولا ثناء ، يجتهد لله تعالى فى إخلاص إعماله ويريد وجهه بجميل أفعاله ، لا يقبل الدنيا ممن يبذلها له ، ولا يُعرِّجْ على من انبسط بها اليه ، يضع الدنيا حيث وضعها خالقها ، ويغنيه منها ماقسمه له رازقه ، لا يشغل منها بما يزول ، ولا يعمل فيها بما لا يدوم ، منصرف بقلبه عن زينتها ، منحرف عن كل مادعى اليها من بهجة رونقها ، يكفيه ماقلّ وصفا ، ويجزيه ماسلم واستوى .

يقف منها عند الشبهات ، وينصرف عن الأمور المشكلات ، بل هو للحلال البين تارك ، وفى الأخذ لما لابد له منه* مقتصد ، قد آثر فيها وفى كل مادعى إليها الزهادة ، ولزوم الكَدّ والعبادة . *(٤١/ب)

يرحمُ مَنْ مَالَ برغبته اليها ويرثى لمَن أقبل بطلبه عليها ، لا يراها حظاً لمن طلبها ، ولا ثمنا لسعى من اشتغل بها ، ينظر إليها بعين زوالها ، وبِقرب انتقالها ، فهذا محل الدنيا عنده ، ومكانها فى العلم بها لديه، وهو مع ماوصفته لك دائم العزلة ، كثير الخلوة ، متصل الجد والخدمة ، يجد راحة قلبه وقرة عينيه وسرور

فؤاده ، فيما خلص من صالح العمل إلى سيده ، وَأَمَّل عائدة ثوابه فى معاده .
فإذا ظهر للناس فى وقت اجتماعهم عليه ، وطلبهم للعلم العتيد لديه ، ظهر بجميل النية وصحيح الإرادة ؛ فكان ذلك عنده بعض الأعمال المقربة الصالحة ، فهو لا يخلو من حال هو بها فى الخلوة متعبدا ، والى آلله تعالى فيما يقرب اليه مجتهدا ، ومن حاله أن تكون قد حضرته النية . ويبرز للخلق فيكون لعلمه ناشرا ، ولهم مما علمه آلله تعالى معلما . والوجل والخوف من آلله عزّ وجلّ فى أحواله ، والحذر والإشفاق دائما لا يفارقه ، يقوم بشرائط علمه ، ويعدل فى قوله وحكمه ، هو من أقوم الناس بالأحكام وأعلمهم بالحلال والحرام ، وأبصرهم بشرائع الإسلام ، يقع على آثار المرسلين ، ويتبع سنن الأولياء والصالحين ، لا يميل إلى بدعة ، ولا يقصر عن الأخذ بالسنة ، بعلم بارع محكم قوىّ ، وحال واضح بيِّن مُستو[٤٣] ، متوسط بجميع المذاهب ، متحرى لَأَقْوَمَ الآراء ، لا يميل إلى الكلام ، ولا يخطر به منه اهتمام ، لا يطعن على الأئمة ولا يذمها ، ويحب لها من الصلاح ما يعمّها ، يرى السمع والطاعة ولا ينزع يدا من جماعة ، يرى أنَّ الخروج على الأئمة من فعل الجهلة الفاسقين ، والغواة المارقين ، الذين يريدون الفتن ، ويبتغون الفساد فى الأرض ، أولئك العداة والفساق والظلمة الُمرَّاق ، الذين سلكوا غير سبيل الهدى ، واستصحبوا الغواية والرَّدى ، *ومالوا بالفتنة إلى الدنيا . وقد رفع آلله عزّ وجلّ عن ذلك أقدار العلماء ، وجعلهم أئمة هداة نصحاء ، أخيارا أبرارا أتقياء خلصاء سعداء نجباء سادة أجلة عظماء حلماء كرماء أولياء ، جعلهم آلله أعلاما من الحق منشورة ومناراً للهدى منصوبة ، ومناهج للبرية مضروبة ، أولئك علماء المسلمين وأمناء المؤمنين وأجلة المتقين ، فيهم فى نوائب الدين يُقْتَدَى ، وبنورهم فى ظلمات الجهل يُهتدى ، وبضياء علمهم فى الظلماء يُستضىء ، جعلهم آلله عزّ وجلّ رحمة لعباده ، وبركة على من شاء من بَرِيَّتِهِ ، يَعْلَم بهم الجاهل ويَذْكرُ بهم الغافل ، ويرشد بهم السائل ، ويعطى بهم النائل ، (٤٢/أ)

ويزيد بهم العامل ، ويبلغ بهم إلى المحل الفاضل ، ويحث بهم الراحل ، ويمكن بهم القوى الكامل ؛ أولئك الذين عمروا بالذكر لله تعالى أعمارهم . وقطعوا بالعمل الفاضل الزكيّ آجالهم ، وبقوا بذلك للخليقة محمود آثارهم ، ووضحت للبرية ضياء أنوارهم ، فمن اقتبس من سنا نورهم استضاء ، ومن قفا على آثارهم اهتدى ، ومن أتبع سير ما هم عليه سعد ، و لم يشق ، أحياهم آللّه تعالى حياة دائمة ، ويتوفاهم وفاة سالمة ، وأنسوا بما قدموا به إلى الآخرة ؛ جعل آللّه خواتم أمورهم أفضلها ، وأحوالهم التى قُبضوا عليها أجملها .

وبعد أيها السائل عن نعت المحققين من العلماء العاملين بالعلم فى مدة البقاء ، فقد وصفتُ لك بعض أحوالهم ونَعَتُ لك كثيرا من جميل أفعالهم ، ولو أردتُ بلوغ الاستقصاء لوصفهم ، وذكر ما يستحقونه من نعتهم ، لطال بذلك كتابى ، واتسع به جوابى ، وفيما أجرى آللّه تعالى ذكره من ذلك كفاية لمن اهتدى ، وبلاغ لمن عمل بما هو أولى .

قال العالم للحكيم : أيها الأستاذ العطوف(٤٤) الرحيم والمعلم الناصح الحكيم ، لقد أزعجتَ بوصفك* للقوم قلبى ، ومَلأْتَ بالخيفة صدرى ، (٤٢/ب)
وعرفتُ بذلك موضعى وقدرى ، وخفتُ أن يعجز عن حمل ماعرفته صبرى ، لما بينته من شدة تقصيرى ، ودوام تخلفى ، فاحتقرت عند المعرفة نفسى ، وأيقنت بَلِيَّتى ونقصى ، فكيف لى بما أكون به من ذل التخلف خارجا ، وعن مذموم أخلاق نفسى راحلا ، وفى أوائل طريق القوم داخلا ، فإنى أرى الوقوف عن ذلك مأثما ، والبقاء مع الحال التى أنا عليها مغرما .

قال الحكيم : لقد سألت عن شأن عظيم وأمر عال جسيم ، يسهل على العاملين بفضله ركوب الأهوال فى طلبه ، وحمل الأثقال والتغرب من الأوطان ، والخروج عن الأموال ، وقلّ من قويت فيما عند آللّه تعالى رغبته ، إلا سهل عليه بذل بدنه ومهجته ، ولم يعظم عليه شىء فى بلوغ بغيته .

فكن أيها السائل عن منازل النجباء ودرجات العلماء وأحوال الأئمة العظماء المُقَفِّينْ على آثار الأنبياء ، على ترك لكل سبب عن منهاج القوم يعطفك عن سبيل الهداية والرشد ويمنعك .

فكن إلى ٱللّٰه تعالى راغبا فيما إليه يرفعك ، واعلم أن ملاحظتك بالرغبة إلى ما قلّ من الدنيا أو كثر ، حجاب لك عن الآخرة ، وعلة على ملاحظتك فى حين نفاذ البصيرة ؛ فنحِّ عن ملاحظة الضمير مايورثك رؤيته النقص والتقصير ، وصفِّى الضمائر وطهر السرائر بتجريد الاعتزام وإجمام الاهتمام ، تفردا منك بماله قصدت ، وفى إدراكه رغبت ، فإن فى إصلاحك لما بطن من سرك إحكام لما أعلن وظهر من جهرك . فإياك أن تميل إلى شىء وإن قل خطره ، فيميل بك عن محمودٍ وضح لك أمره ، فإن أغبن الغبناء من باع كثير مايبقى ، بقليل مايغنى ، ومن شغل نفسه عن أمور الأخرة بأمور الدنيا . واجعل أيها الرجل الطالب لفضل الأحوال والمذاهب أول ماتبدأ من عملك ، وتقرب بفعله إلى ربك ، الزهد فى الدنيا والإعراض عن كل ما مالت اليه النفس من قليل أو كثير ، فإن قليل ماملت به إليها ، يأخذ من سرك * ويشغل من قلبك (٤٣/أ) ويعترض على ذكرك ؛ وعلى قدر قوة مامعك من مواد القليل منها وضعفه ، كذلك تكون قوة المعترض منه وضعفه ، وعلى حسب الواقع من ذلك ، يحتجب عنك فهم ما قصدتْ الهِمَّة ، وإنما تؤثر الأعمال وتحصن القلوب ، إذا انقطعت عوارض الدنيا عنها ، فإذا اعترض منها شىء وإن قل ، فهو المراد والعمل معا ، وكان ذلك يبعد المحاضر والأفهام ، ويوقف الحال عن لحوق الاستتمام ، فاحذر ماعاطفك منها ، ومال بك وان قل قدره إليها ، تخلص[٤٥] بتخلصك من ذلك الى سوىّ الحال وصحة الفعل والمقال .

فقال له العالم : وضعتُ لنصحك خدى ، وجمعتُ له همى وفرَّغتُ له قلبى وتبينت فيه رشدى ، وقد أمَّلْتُ برشد هدايتك وحقيقة دعايتك وصدق مناصحتك ، أن يبلغنى ٱللّٰه تعالى إلى كل ما أُؤمِله وغاية ما أطلبه ، وقد رأيت

ينابيع الحكمة الجارية من مكنون سرك على لسانك ، واصلة إلىّ ببعض ما تقصدنى به ، وقد ذقت سائغا من مائه ، فأوجدنى انتعاشُ تبينه محبةَ نفعك لى به ، فزدنى منه ماتقوى به الحياة الباعثة لى ، من موت مامضى من الحال ، إلى مستقبل ماوقع من الانتقال ، فإنى لم أجد شيئا أرجع به فيك إلى آللّٰه تعالى ، إلا مناجاتى له بجميل مجازاتك عنى ومكافأته لك بما هو له أهل وولي ، وبعد إيقاظك لى أيها الحكيم من رقدة الغفلة ، وإنباهك لى من وسن السهو والسِّنَة ، فقد وجدت[٤٦] استقلالا إلى استدراك الفهم عنك ، يحملنى ماوجدت منه إلى العمل ببعضه ، ووجدت مطالعات مابقى علىّ من التقصير ، يزجرنى عن الوقوف عنها لمحكم بيان وعلم إيقان ، فأما مابين ماسنح من تيسير آللّٰه تعالى للعلم ، وبين مانبه العلم عليه من النهوض الى مابقي ....

الهوامش

(١) م : فأفضوا .
(٢) م : ولانك .
(٣) ليحقق .
(٤) م : ظاهر .
(٥) م : أحيا .
(٦) سورة الروم : آية ٥٠ .
(٧) م : لبرؤه .
(٨) م : نسع .
(٩) م : الأوله .
(١٠) سورة آل عمران : آية ١٨٧
(١١) سورة الأعراف : آية ١٦٨ .
(١٢) سورة ص : آية ٨٦ .
(١٣) سورة الشورى : آية ٢٣ .
(١٤) سورة الفرقان : آية ٥٧ . وسورة هود : آية ٨٨ .
(١٥) سورة هود : آية ٥١ .
(١٦) م : يأخذوا .
(١٧) سورة المائدة : آية ٦٣ .
(١٨) م : غابت .
(١٩) م : رجال .
(٢٠) م : منهم .
(٢١) م : اليه .
(٢٢) م : يحبوا .
(٢٣) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .
(٢٤) سورة النساء : آية ٦٦ .
(٢٥) م : إصلاح .
(٢٦) م : واخلص .
(٢٧) م : الشفقة .
(٢٨) م : واستمطر .
(٢٩) م : فتحرا .
(٣٠) م : بالتثقيل .
(٣١) سورة المجادلة : آية ٢٢ .
(٣٢) م : اتوا .
(٣٣) م : يبدوا .
(٣٤) لعلها يغمطون .
(٣٥) م : مميزا .
(٣٦) م : صاحبا .
(٣٧) م : شاغلا .
(٣٨) م : مقبلا .
(٣٩) م : السقابة .
(٤٠) م : مؤثرا .
(٤١) م : مصحوب .
(٤٢) م : بالمرأة .
(٤٣) م : مستوى .
(٤٤) م : العطيف .
(٤٥) م : يخلص .
(٤٦) م : وجب .

كتاب الجنيد إلى
أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي
رحمهما الله تعالى

نسخة كتاب الجنيد إلى أبي يعقوب
يوسف بن الحسين الرازى رحمهما آلله تعالى

كشف الحق لك عن حقيقة أنبائه ، وتولّاك بعظيم مننه وآلائه ، وتضمنك فى ضمِّه إياك إلى سوابغ نعمائه ، وجرت عليك برفعه لك إليه وإعلائه ، فكنت بحيث لا تكون الأغيار لك إليه سببا ، بل تكون بما يوجد به منك منتسبا ، قد أخلصك بما اصطفاك به من خلصاء صفوته وأوحدك بالانتحال[1] ممن خصه بولايته ، وتخيّرك بالاجتباء من كبراء أهل مودته ، الذين آثرهم بالاصطفاء لعظيم خلته ، فكانت أوائل أقدامهم المجردة لديه ، الموضوعة على مناهج الورود عليه ، النزوع عما دونه إليه ، فَسَبَقَتَ إليه به كل سابق ، وَسَمَتْ إليه وحده عن سنيّات المطالب ، على أنوار فواتح البذل ، تخر عليهم خريرا ، وتدر بمنائح الأفضال عليهم درورا ، بسكب غيث هاطل منهمل ، ومدرار غُلِّفَ بغرائب البر متصل ، * يذهل ببوادى وروده عقول من لاحظه به ، ويبهر بأوائل شهوده (٤٣/ب) مَن أراده له فإلى أين وبماذا يتخطى[2] ذلك قلوب المكرمين به ، وكيف وأنّى تتحاماه عقول المصادفين له ، وذلك لا يكون بفعل مكون ، وإن كان مكرما ، ولا ينفذ عنه بتخطيه سر ولي وإن كان ممكنا ، ولن يحمل ذلك عن أهل مجالسه وأنسه إلا الحامل بقوته وقدرته حملة عرشه ، فهو ولي المحاماة عمن اصطنعه لنفسه ، فعند ذلك إذا أراد ذلك دعا إلى إخلاص ذكره ، وأقبل بمن تفرد به عليه ، وأوى[3] بمن استأثر بمكنون سره إليه ، فكان ماجمعه لأهل الزلفى لديه والمقربين عنده لهم تبعا ، وسائر أولياه فيما عاطفوا من ذلك شيعا . لهم منه مابذله من عظيم عطائه ، وجاد به من جليل مننه وآلائه ، فذلك حظهم المبذول ، وعطاؤهم الدائم الموصول ، وذلك كله على عظيم قدره ، وجليل ماخصهم آلله تعالى به من نفيس بره ، حجاب عما أخلص به المنفردين بخالص ذكره ، مع حقيقة وجود ذلك ، والكون بالنزول فيما هنالك يبدو[4] أوائل علم من تفرد به وأراده بالاختصاص لما يوجد له ، ولن يصلح لمعاينة ذلك عين

بقيت عليها منها بقية ، ولن يلاح طرف مواقع لرزية ، جعلنا آلله وإياك يا أخى ممن اصطنعه لنفسه ، واستأثر به عمن دونه .

كتابى إليك يا أخى وسبل الحق مسهلة المناهج ، وطرق الرشد زاهرة قد وُطئت بالتمهيد لأقدام السالكين ، وفُسحت بالتوسعة لسير الطالبين ، وزُينت ببهجات الأنوار لقلوب الراغبين ، وهى مع ذلك لقلة القاصدين إليها ولقلة السائرين بالصدق عليها ، كالعشار المتعطلة ، والمواطن القفار الخربة ، ليس لها على ما عظّم آلله من قدرها ، ووعد من جزيل الثواب على سلوكها ، من أكثر الناس عامر ، ولا فى عظيم خطرها من الخلق راغب ، وإنى أرى العلم مع كثرة منتحليه وانتشار طالبيه * بقلة صدقهم فى قصده ، وتركهم العمل بواجب حقه ، (٤٤/ا) كالعازب المتغرب البعيد المنفرد ، وأرى الجهل والدعاوى على كثير من الناس غالبا ، وقلة العلم للمنتحلين للعمل بيّنة[٥] ، وأرى هموم أكثر الخليقة على الدنيا عاكفة ، ولما تَعَجَّل من حطامها طالبة ، ولقليل ما تعجل منها مؤثرة ، وقد انكفت العقول والقلوب بالانكباب على طلبها ، وانصرفت إلى الرغبة فى القليل منها ، وأراهم بشر المراد وكثرة الفساد وقلة العمل للمعاد ، فى غمرة سكرتها ، وحيرة هوالك مااستولى عليهم منها ، ليس فيهم لغلبة ذلك عليهم مفيق ، ولا راجع إليك أن وعظته بتحقيق ، قد اشتملت عليهم الفتنة بالعاجلة ، فتحيرت عقولهم عن أمور الآجلة . وبالخلق ياأخى إذا كانوا كذلك أشد الحاجة الى عالم رفيق ، ومؤدب مناصح شفيق ، وواعظ يدلهم على الطريق ، وأنت يا أخى رضى آلله عنك بقية ممن مضى ، وأحد من يشار إليه من العلماء ، وجليل من أكابر الحكماء ، وقد علمت رضى آلله عنك أن آلله عزّ وجلّ قد أخذ الميثاق على أهل معرفته وأولى العلم به الذين آثرهم بكتابه ، وفتح لهم فى الفهم عنه ، وخصهم بما استخلصهم به من تبيان ، وقلدهم من عظيم أماناته أن يبينونه للناس ولا يكتمونه ، وقال جلّ ثناؤه « والرَّبَّانِيُّون والأَحْبَار بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ آللهِ »[٦] وقال تعالى « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون »[٧] وأنت ياأخى أحد من بقى ممن قلد

من ذلك ماقلدوه ، وعرف من أنباء الحكم بعض ماعرفوه ، وعليك عندى تبيان ماوهبه آلله جلّ ثناؤه لك ، والقول بعظيم ما أنعم به عليك ، فاعدل رضى آلله عنك الى المريدين بهمك ، وأقبل عليهم بوجهك ، وانصرف إليهم بحجتك واعطف عليهم بفضلك وأثر على غيرهم بدلالتك ، وجميل دعايتك ، وابذل لهم منافعهم من علمك ومكين معرفتك ، وكن معهم فى ليلك ونهارك وخصهم بما عاد به عليك ولك ، فذلك حق القوم منك ، وحظهم مما وجب لهم عليك ؛ أما سمعت آلله جل ثناؤه وذكره وهو يقول لأعظم خلقه عنده قدرا ، وأعلاهم لديه منزلا « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيْدُ زِيْنَةَ الحَيَاة الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً وَقُلْ الحَقّ مِنْ رَبِّكُمْ »[٨] فهذه وصية آلله جلّ ثناؤه لنبيه المجتبى محمد ﷺ المصطفى .

يا أخى رضى آلله عنك لم أنبهك على حظ كنت عنه غافلا ، ولا على أمر رأيتك عنه مقصرا ، وأعيذك بآلله من كل هفوة وتقصير ، وعن كل نقص وفتور ، لكن آلله عزّ وجلّ يقول « وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »[٩] .

وقد بدأتك بكتابى هذا متوسلا به إلى مواصلتك ، ومستزيدا به من إقبالك علىّ ومؤانستك ، ومتسببا به إلى مكاتبتك ، فكن حيث أحببته منك ، وزدنى فيما رغبت فيه إليك ، جعلك آلله سببا لنفع إخوانك .

ومع ذلك يا أخى هديت لرشدك ، فقد سنح لى شيء أريد أن أقوله ، بدأت بنفسى فيه قبلك ، وأحب أن أكون فيه تبعا لك بعدك ، وأقدم مع ذلك الاعتذار إليك ، إن لم يقع مقبولا لديك ، فخذه إن كان له فى الحق موضعا ، وكن له على المناصحة مستمعا ، فهو لك منى على المناصحة مبذول ، وإن رددته على فهوَ لدى مقبول .

يا أخى رضى آلله عنك كن على علم بأهل دهرك ، ومعرفة بأهل وقتك وعصرك ، وابدأ فى ذلك أولا بنفسك ، وكن عاطفا بعد احكامك فيه بحالك ...

الهوامش

(١) م : وأوحدك كما بالانتحال .

(٢) م : يتخطا .

(٣) م : واوا .

(٤) م : يبدوا .

(٥) م : بين .

(٦) سورة المائدة : آية ٤٤ .

(٧) سورة المائدة : آية ٦٣ .

(٨) سورة الكهف : آية ٢٨ .

(٩) سورة الذاريات : آية ٥٥ .

كتاب الفناء

بسم آلله الرحمن الرحيم
الحمد لله وصلواته على محمد وآله وسلم تسليما

كتاب الفناء

كلام الإمام أبى القاسم الجنيد بن محمد قدس آلله روحه :

الحمد لله الذى قطع العلائق عن المنقطعين اليه ، ووهب الحقائق للمتصلين به المعتمدين عليه ، حين أوجدهم ووهب لهم حبه ، فأثبتَ العارفين فى حزبه ، وجعلهم درجات فى مواهبه ، وأراهم قوة أبداها عنه ، ووهبهم[١] مِنَّةً من فضله ، فلم تعترض عليهم الخطرات بمُلكها ، ولم تلتق بهم الصفات المسببة للنقائص فى نسبتها ، لانتسابهم الى حقائق التوحيد ، بنفاذ التجريد ، فيما كانت به الدعوة ، ووجدت به أسباب الحظوة[٢] ، من بوادى الغيوب وقرب المحبوب .

ثم سمعته يقول : وهبنيه ثم استتر بى عنى فأنا أضرّ الأشياء عليّ ، الويل لى منى ، أكادنى وعنه بى خدعنى ، كان حضورى سبب فقدى ، وكانت متعتى بمشاهدتى كمال جهدى . فالآن عدمت[٣] قواى لعناء[٤] سرى . لا أجد[٥] ذوق الوجود ولا أحلو[٦] من تمكين الشهود ، ولا أجد نعيما من جنس النعيم ، ولا (أجد) التعذيب من جنس التعذيب ، فطارت المذاقات عنى ، وتفانت اللغات من وصفى[٧] ، فلا صفة تُبدىٰ ولا داعية تُحدىٰ . كان الأمر فى إبدائه كما لم يزل فى ابتدائه .

قلت : فما أبان منك هذا النطق ولا صفة تبدو[٨] ولا داعية تحدو[٩] .

قال : نطقت بغيبتى عن حالى .[١٠] ثم أبدى[١١] عليّ من شاهد قاهر وظاهر شاهر . *أفنانى بإنشائى كما انشانى بدياً فى حال فنائى ، فلم أوثر[١٢] عليه لبراءته من الآثار ، ولم اخبر عنه إذ كان متوليا للإخبار . أليس[١٣] قد محى رسمى بصفته ، وبامتحائى فات علمى فى قربه ، فهو المبدىء كما هو المعيد . (٥٥/أ)

قلت : فما قولك افنانى بإنشائ كما أنشانى بديا فى حال فنائى ؛ قال : أليس تعلم أنه عز وجل قال « وإذ أخذ ربك من بنى آدم » الى قوله « شهدنا »[١٤] فقد أخبرك عز وجل أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم ، إذ كان واجدا بغير معنى وجوده لأنفسها ، بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ، ولا يجده سواه ، فقد كان واجدا محيطا شاهدا عليهم بديا فى حال فنائهم عن بقائهم ، الذين كانوا [فى الازل][١٥] للأزل ، فذلك هو الوجود[١٦] الربانى والإدراك الإلهى الذى لا ينبغى إلا له جل وعز ؛ ولذلك قلنا إنه إذا كان واجدا للعبد يجرى عليه مراده من حيث يشاء بصفته المتعالية التى لا يشارك فيها ، كان ذلك الوجود أتم الوجود وأمضاه لا محالة ، وهو أولى وأغلب وأحق بالغلبة والقهر وصحة الاستيلاء على مايبدو[١٧] عليه ، حتى يُمْحَى[١٨] رسمه عامة ويَذهب وجوده ، إذ لا صفة بشرية ووجود ليس يقوم به لما ذكرنا ، تعاليا من الحق وقهره ، [إنما هذا تَلَبُّس][١٩] على الأرواح [مالها من الأزلية][٢٠] .

نعيم ليس (من جنس) النعيم المعقول ، وسخاء بالحق لا من جنس السخاء المعلوم ، إذ كان عزّ وجلّ لا يحس ولا يُحس ولا يبدل ذاتيته ، ولا يعلم أحد كيفية لطائفه فى خلقه ، وإنما معنى ذلك ربانى لا يعلمه[٢١] غيره ولا يقدر * (٥٥/ب) عليه إلا هو ، ولهذا قلنا إن الحق أفنى[٢٢] مابدا عليه ، وإذا استولى كان أولى[٢٣] بالاستيلاء وأحق بالغلبة والقهر .

قلت : فما يجد أهل هذه الصفة ، وقد محوت اسم وجودهم وعلومهم ؟

قال : وجودهم بالحق بهم وما بدا عليهم بقول وسلطان غالب ، لا ماطالبوه فأذّكَرّوه وتوهموه بعد الغلبة ، فيمحقها ويفنيها ، فإنه غير متشبث بهم ولا منسوب اليهم ، وكيف يصفون ويجدون مالم يقوموا فيحملوه ، أو يقاربوه فيعلموه ، وإن الدليل على ذلك من الخبر الموجود ، أليس قد روي عن النبى ﷺ أنه قال : قال الله عزّ وجلّ « لايزال عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » . وفى

الحديث زيادة فى الكلام غير أنى قصدت الحجة منه فى هذا الموضع ؛ فإذا كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به فكيف تكيّف ذلك بكيفيته أو تحدّه بحدّ تعلمه ؟ ولو ادعى ذلك مدع[٢٤] لأبطل فى دعواه ، لأنا لا نعلم ذلك كائنا بجهة من الجهات تعلم أو تعرف ، وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ماشاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق ، وذلك فعل ٱللّٰه عزّ وجلّ فيه ومواهبه له[٢٥] ، منسوبة اليه لا الى الواجد لها ، لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به ، وإنما كانت واقعة عليه[٢٦] من غيره ، وهى لغيرها أولى وبه أحرى ، وكذلك[٢٧] جاز أن تكون بهذه الصفة الخفية ، وهى غير منتسبة به على النحو الذى ذكرناه .

(٥٦/أ) *قلت : كيف يكون الحضور سبب الفقد والمتعة بالمشاهدة كمال الجهد ، وإنما علم الناس هاهنا أنهم يتمتعون ويجدون بالحضور ، لا يُجهدون فى ذلك ولا يفُقدون ؟

قال : ذلك علم العامة المعروف ، وسبيل وجودهم الموصوف ، فأما أهل الخاصة والخاصة المختصة ، الذين غُربوا لغربة أحوالهم ، فإن حضورهم فقد ، ومتعتهم بالمشاهدة جهد لأنهم قد محوا عن كل رسم ومعنى يجدونه[٢٨] بهم أو يشهدونه[٢٩] من حيث هم ، بما استولى عليهم فمحاهم ، وعن صفاتهم[٣٠] أفناهم ، حتى قام بهم وقام عنهم بما لهم ، وثبت دواعى[٣١] ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه ، فوجدوا النعيم به غيبا بأمتع الوجود على غير سبيل الوجود ، لاستئثار[٣٢] الحق واستيلاء القهر ، فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبى الذى لا تحاسه النفوس ولا تقاربه[٣٣] الحسوس ، ألفت فناها عنها ووجدت بقاها يمنعه فناها . فإذا أحضرها أنيتها[٣٤] وأوجدها جنسها ،[٣٥] استترت بذلك عما كانت به وكان بها ، فغصت[٣٦] بنفسها وألفت بجنسها ، إذا أفقدها التمام الأول والاكرام الأكمل ، وردت الى تعلم وتعقل ، فالحسرة فيها مستكنة وغصة الفقد بها متصلة فى حال حضورها وكائن وجودها ، ولذلك تاقت الى

الشهوة ورجعت الى الحاجة . وكيف لا يكلمها اخراجها[٣٧] بعد غيابها وتوقانها بعد امتلائها . فمن ههنا عرجت نفوس العارفين الى الأماكن النضرة والمناظر الأنيقة[٣٨] والرياض الخضرة ، وكان ماسوى ذلك عذابا عليها[٣٩] مما تحن اليه من أمرها الأول الذى تشمله الغيوب ويستأثر به المحبوب . ويحك إن اشارته * الى الصفة إشارة لا يشارك فيها ، ومراده فيها ومنها هو ما استأثر به ٠(٥٦/ب) عليها . فمن كان مستترا أو ذاكرا لها أو مختصا بها ، كان لا ينبغى للمراد بذلك حضور البوادى عليه ولا البواعث منه اليه ؛ فتأمن[٤٠] صفته عن الفناء بحقيقته ،[٤١] ذاهبا[٤٢] عن الحضور ماهو به ، اقتدارا من الغالب له القائم به المستولى عليه . حتى إذا أحضر وأشهد ضمن حضوره الاستتار[٤٣] وامحت فى شهوده الآثار[٤٤] ، حتى لا يجد السبيل الى درك الشفاء على خالص الوجود المستولى عليه من الحق تعالى[٤٥] ، كذلك يرى[٤٦] فى صفته العليا وأسمائه الحسنى[٤٧] . وإنما جرت سنة[٤٨] البلاء على أهل البلاء من ههنا ، حتى جاذبوا وأقاموا ولم ينخدعوا ، أقيم عليهم ما محقهم فى نفس القوة وعلو المرتبة وشرف النسبة .

قلت : فما أعجب ما أخبرتنى به وإن أهل هذه النسبة العالية ليجرى عليهم البلاء؟ فكيف ذلك حتى أعلمه ؟ قال : افهم : لما طلبوه فى مراده ومانعوه عن أنفسهم ، فطلبوا له فى استيلائه[٤٩] عليهم بساط البلاء على صفاتهم ، لأن لذة الأشياء فيهم ، سترهم به ليقضوا[٥٠] بأنيتهم ويحترفوا[٥١] بحسوسهم ويلذوا[٥٢] برؤية[٥٣] أنفسهم ، فى مواطن الفخر ونتائج الذكر وغلبات القهر . وأنّى لك بعلم ذلك ، وليس يعلمه إلا أهله ، ولا يجده سواهم ، ولا يطيقه غيرهم . أو تدرى لما[٥٤] طالبوه ومانعوه ، فتوسلوا بما منه بدا اليه ، واستعانوا فى التوسل بالحقائق عليه ؟ لأنه أوجدهم وجوده لهم وثبت فيهم وعليهم غيب سرائره الواصلة اليه ، فامتحت[٥٥] الآثار ، وانقطعت[٥٦] الأوطار ، حتى * توالت ٠(٥٧/أ) النسب ، وتعالت الرتب ، بفقدان الحس وفناء النفس .

ثم أحضرهم[٥٧] الفناء فى فنائهم ، وأشهدهم الوجود فى وجودهم ؛ فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم[٥٨] من أنفسهم ستراً خفياً وحجاباً لطيفاً ، أدركوا به غصة الفقد وشدة الجهد ، لاستتار مالا تلحق به العلل ، إحضار مايلحق العلل به وتليق الآثار بصفته . فطالبوه فيما كان مطالبهم ، ومايعرفه[٥٩] من نفوسهم ، لأنهم حلوا بمحل القوة ، ونالوا حقائق الحظوة ، فأقيم عليهم مشغلا لهم ، فنشأ منه فيهم تمام كان ولا كان على الصفة ، وإن كانت غصة[٦٠] البلاء تزيد .

قلت : فصف لى تلوين البلاء عليهم فى موطنهم العجيب ومنزلهم القريب .

قال : إنهم استغنوا بما كان بدا ، فخرجوا عن الفاقة ، وتاركوا المطالعة ، وألبسوا الظفر بجهد الاقتدار وصوله الافتخار ، وكانوا بذلك ناظرين إلى الأشياء بما لهم ، دون التعريج على ما له ، بإقامة الفرق والفصل ، لما رأوا ووجدوا[٦١] بالعينين ، فاستولى بالأمرين[٦٢] ، فإذا بدت عليهم بوادى الحق ، ألجأ منه لهم مما لهم ، على التجريد اقتدارا وافتخارا . خرجوا عن ذلك غير مشاكيين له ، مؤثرين لما انفردت به متعتهم ، دالة عليه ويقينا بالسماحة ، لا يرون رجوعا عليهم ولا مطالبة تجرى عليهم . فإذا كان ذلك أحاط بهم المكر من حيث لا يعلمون .

قلت : قد أغربت على عقلى ، وزدت فى خبالى[٦٣] فادن من فهمى . قال : إن أهل البلاء[٦٤] لما اتصلوا بحادث الحق فيهم[٦٥] ، وجارى حكمه عليهم ، تغربت أسرارهم ، وتاهت أرواحهم عمر الأبد ، لا تأويها المواطن ولا تجنّها الأماكن ، تحنّ الى مبتليها حنينا ، وتئن[٦٦] * بفناء النائى عنها أنينا ، قد شجاها فقدانها وذلها[٦٧] وجدانها ، أسوفه عليه ، موجعة لديه ، متشوقة فى الوجد إليه ، أعقبها بها ظمأ ، ويزيد الظمأ فى أحشائها نماء ، فهى الكلفة بمعرفتها ، السخية بفقدها . أقام لها عطشها اليه مع كل مأتم مأتما ، ورفع لها فى كل كسوة

(٥٧/ب)

علما ، يذيقها طعم الفقر ، ويجدد عليها رؤية احتمال الجهد ، مماثلة مع آثار المؤن ، تواقة الى مثلات الشجى[٦٨] ، طلابة لشفائها ، متعلقة بآثار المحبوب فيما يبدو[٦٩] ، وكل إبعاد تراه بعين الدنو . خفيت[٧٠] خفاء لفقد سترها فما استترت ، وابتلاها فما نكلت . وكيف تستتر ، وهى مأسورة لديه ، محتسبة له بين يديه . سمحت له بهلاكها فيما أبدى عليها من ابتلائها ، ولم تعزم على الاهتمام بأنفسها استغناء بحبه وتعلقا به فى محل قربه . ترى مقادير الألحاظ منه فى سرعة يقظتها ، يستغرق هلالكها بالجارى عليها فى دوام البقاء وتشديد البلاء[٧١] ، حتى امتعها بلاؤها ، وآنسها به بقاؤها ، لما رأته قريبا لمنعها واتيا بلسعتها فلم تلوعن حمله كلالا ولا برمت به ملالا . هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسرّ اليهم . أقاموا فى قهره ، انتظار أمره ، ليقضى آللّه أمرا كان مفعولا .

وأهل البلاء[٧٢] يقسمون[٧٣] على قسمين : فمنهم من أوى[٧٧] إلى بلائه ، فساكن مراده ، ومابلى هواه فى الأشياء إيثارا لمتعة نفسه ، وتمتعه بوجود حسه حتى انكى[٧٥] به ومكر به وأزال بالمكر عنه مزايلة حالة ، واعتد ببلائه شرفا ، ورأى[٧٦] أن سبب الخروج عنه سبب النقصان والضعف ...

تم كتاب الفناء وكانت النسخة المنقول منها نسخة أعجمية كثيرة السقم جدا فلتتوقع نسخة مرضية للتصحيح بها إن شاء آللّه . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الهوامش

(١) م : ووهبه .
(٢) فى الهامش . الأصل فى المخطوطة : الحظرة .
(٣) فى الهامش . الأصل فى المخطوطة : عزمت .
(٤) فى المخطوطة والهامش : لفناء .
(٥) فى الهامش . الأصل فى المخطوطة : لاجد .
(٦) م : أخلوا .
(٧) م : وضعى .
(٨) م : تبدوا .
(٩) م : تحدوا .
(١٠) م : مالى .
(١١) م : أبدا .
(١٢) م : أوشر .
(١٣) م : ليس .
(١٤) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
(١٥) أضيفت من كتاب الميثاق .
(١٦) م : الموجود .
(١٧) م : يبدوا .
(١٨) م : تمحا .
(١٩) م : فاذا كان هذا تلبسا .
(٢٠) أضيفت من كتاب الميثاق (٥٨ ب) .
(٢١) م : يعلم .
(٢٢) م : إفنا .
(٢٣) م : أولا .
(٢٤) م : مدعى .
(٢٥) م : وما وهبه .
(٢٦) م : واقفة به .
(٢٧) م : وكا .
(٢٨) م : يجدوه .
(٢٩) م : يشهدوه .
(٣٠) م : صفاته .
(٣١) م : رواع .
(٣٢) م : الاستينار .
(٣٣) م : تقاومه .
(٣٤) م : اثبتها .
(٣٥) م : جبسها .
(٣٦) م : فعصت .
(٣٧) م : ما اخرجها .
(٣٨) فى هامش المخطوطة : الأنقة .
(٣٩) م : عليهم .
(٤٠) م : فياض .
(٤١) م : بحقتقته .
(٤٢) م : وذاهبا .
(٤٣) م : الاستثار .
(٤٤) م : فى الآثار .
(٤٥) م : تعالى فى الحق .
(٤٦) م : ير .
(٤٧) م : الحسنا .
(٤٨) م : سنت .
(٤٩) م : اسنيلاه .
(٥٠) م : اليقضون .
(٥١) م : ويحترفون .
(٥٢) م : ويلذون .
(٥٣) م : برية .
(٥٤) م : لمن .
(٥٥) م : فامتما .
(٥٦) م : وانقطع .
(٥٧) م : أحضرها .
(٥٨) م : واشهد .
(٥٩) م : يعرفها .
(٦٠) م : عنده .
(٦١) م : يوجد .
(٦٢) م : الامرين .

الهوامش

(٦٣) م : حبابي .
(٦٤) م : البلى .
(٦٥) م : فيها .
(٦٦) م : تان .
(٦٧) م : وذللها .
(٦٨) م : ممثلات الشجا .
(٦٩) م : يبدوا .
(٧٠) م : حلعب .
(٧١) م : الیلی .
(٧٢) م : الیلی .
(٧٣) م : يقسموا .
(٧٤) م : أوا .
(٧٥) م : ألجا .
(٧٦) م : وروى .

كتاب الميثاق

(٥٨/أ)

* بسم ٱلله الرحمن الرحيم

ومن كلام الجنيد رحمه ٱلله فى قوله تعالى « وإذ أخذ ربك »[١] . قال كاتبه : يليق بهذا الكتاب أن يسمى « **كتاب الميثاق** » ، ولسهل رحمه ٱلله كلام فى ذلك سمي **بكتاب الميثاق** .

الحمد لله الذى جعل ما أنعم على عباده من إبزاغ نعمته دليلا هاديا لهم إلى معرفته ، بما أفادهم به من الأفهام والأوهام التى يفهمون بها رجع الخطاب ؛ أحمده دائما ديموميا ، وأشكره شكرا قائما قيومياً[٢] ؛ وأشهد أن لا إله إلا ٱلله الفرد الفريد الأحد الوحيد الصمد القدوس ، وأشهد أن محمد ﷺ الكامل بالنبوة والتام للرسالة ﷺ وعلى آله أجمعين .

ثم إن لله عزّ وجلّ صفوة من عباده وخلصاء من خلقه ، انتخبهم للولاية واستخلصهم للكرامة وأفردهم به له ، جعل أجسامهم دنيوية[٣] وأرواحهم نوارنية وأوهامهم روحانية وأفهامهم عرشية وعقولهم حجبية ، جعل أوطان أرواحهم غيبية فى مغيب الغيب . جعل لهم تسرحا فى غوامض غيوب الملكوت ؛ ليس لهم مأوى[٤] إلا إليه ؛ ولا مستقر إلا عنده ؛ أولئك الذين أوجدهم لديه فى كون الأزل عنده ومراكب الأحدية لديه ؛ حين دعاهم فأجابوا سراعا ، كرما منه عليهم وتفضلا ؛ أجاب به عنهم حين أوجدهم ؛ فهم الدعوة منه ؛ وعرفهم نفسه حين لم يكونوا إلا مشيئة أقامها بين يديه ؛ نقلهم بإرادته ثم جعلهم كذر أخرجهم بمشيئته خلقا فأودعهم صلب آدم عليه السلام فقال عزّ وجلّ « وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم »[٥] . فقد أخبر جلّ ذكره أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم ، إذ كانوا واجدين للحق من غير وجودهم لأنفسهم ، فكان[٦] الحق بالحق فى ذلك* موجودا بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ولا يجده سواه ؛ فقد كان واجدا[٧] محيطا شاهدا عليهم برأهم فى حال فنائهم ، (٥٨/ب)

الذين كانوا فى الأزل للأزل أولئك هم الموجودون الفانون فى حال فنائهم الباقون فى بقائهم ؛ أحاطت بهم صفات الربانية وآثار الأزلية وأعلام الديمومية ؛ أظهر[٨] هذه عليهم لما أراد فناءهم[٩] ليديم بقاؤهم[١٠] هناك ، وليفسحهم فى علم الغيب غيبه ؛ وليريهم غوامض مكنونات علمه ويجمعهم به . ثم فرقهم ثم غيبهم فى جمعهم وأحضرهم فى تفريقهم ، فكان غيبهم سبب حضورهم وحضورهم سبب غيبهم . اختطفهم بالشواهد البادية[١١] منه عليهم حين أحضرهم ، واستلبهم عنها حين غيبهم ؛ أكمل فناءهم[١٢] فى حال بقائهم وبقاءهم[١٣] فى حال فنائهم . أحاطت الأمور بهم حين أجرى عليهم مراده من حيث يشاء بصفته المتعالية التى لا يشارك فيها . فكان[١٤] ذلك الوجود أتم الوجود ، وهو أولى وأعلى وأحق بالقهر والغلبة وصحة الاستيلاء على ما بدا منه عليهم حتى يمحى أثرهم ويمتحى رسومهم ويذهب وجودهم ؛ إذ لاصفة بشرية ولا وجود معلومية ولا أثر مفهومية ؛ إنما هى تلبيسات[١٥] على الأرواح ماالها من الأزلية ؛ ذوق وجود نعيم لا كالنعيم ؛ مستحيلة فى المعانى متفقة الأسامى متصادقة فى ذوق نعيمها متلونة فى رسوم شواهدها ، تبدو[١٦] بنعيمها فى طوالع شواهدها وتتلون فى ذوق مرارات طعمها ؛ لَهْجُ أفكارهم فى محبوبهم وتزّمت أذكارهم فى أسرارهم ؛ هاجت عليهم عند ذلك بحار الغيرة تتلاطم أمواجها ، عَظُم البلاء عند تصفحهم لواردها ، واضمحلت نفوسهم عند توقعهم إياها ، وقام عليهم كل معلوم نكرا وثبت كل نكر* معلوما ؛ برزوا بعلم الحقيقة لدى[١٧] الحق ؛ حين أوجدهم حقيقة الحق نسبة منه لا الى الواحد لها ؛[١٨] كان ذلك كمال الجهد لديه ، ثم لم يجعل لبلائهم أسامي فيستريحون ؛ ولا لجهدهم معلوما فيتنعمون ؛ شغل بعضهم عن بعض ؛ وأفرد بعضهم عن بعض ، فهم فى حضورهم فقد ؛ وفى متعتهم بالمشاهدة كمال الجهد ، لأنه قد محى عنهم كل رسم ومعنى يجدونه[١٩] بهم : ويشهدونه[٢٠] من حيث هم لما استولى عليهم فمحاهم وعن صفاتهم أفناهم ، وإنما معنى ذلك أن تؤدى الحقيقة

*(٥٩/أ)

من الحق ما يشاء ، كيف أثبت بهم وعليهم وقام عنهم بما لهم وثبت دواعى[٢١] ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه ، فوجد النعيم من غير جنس النعيم ووجد البلاء فى معلوم النعيم ووجد الوجود فى غير سبيل الوجود ، باستتار الحق واستيلاء القهر ، فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبى الذى لا تحاسه النفوس ولا تقارنه الحسوس ، ألفت فناها عنها وطرحتهم فى مفاوز مهلكات بلواها ، ثم ألفت بعد إلْفِهِمْ للفناء فناء لأن لا يجدوا طعم معلوم ولا يستريحوا الى موجود ، امتلأ بهم بلا إشارة إلى صفاتهم ، ولا رسوم من رسوم الموصوفات ولا البواعث منه إليها ، وامتحت شواهده فى الآثار حين لا يوجد السبيل إلى درك الشفاء على خالص الوجود المستولى عليه من الحق تعالى[٢٢] ، كذلك مَن فى صفته العليا وقوة شاهده بوارد سلطانه ؛ وإنما جرت سنة البلاء على أهل البلاء حين جاذبوا وأقاموا[٢٣] وثبتوا ولم ينخدعوا ، أقيم عليهم ماحققهم فى نفس القوة وعلو المرتبة وشرف المنزلة وسناء النسبة ، ثم أحضرهم الفناء فى فنائهم وأشهدهم الوجود فى وجودهم ، فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم الوجود فى وجودهم (سترا خفيا وحجابا لطيفا)[٢٤] أدركوا به عظيم الفقد* وشدة الاستينار مالايليق به العلم ولا (تليق)[٢٥] الآثار بصفته ، فطالبوه فيما كان مطالبهم ، ومانعوه ماكان مانعهم ، وتعرفوا منه ماعرفوه إليهم لا بهم ، حلو بمحل القوة ، ونالوا حقائق الحظوة ، وتعالوا إلى حقيقة الحضرة ، فأقام عليهم شاهدا منه فيهم ، وأدركوا منه به ماأدركوا ، وأوقف كل واحد منهم عند إدراكه ، وأفرد كل ما انفرد منه تعالى آلله عن صفة الخلائق ، وعز أن تشتبه به الخلائق علوا كبيرا .

(٥٩/ب)

تم بحمد آلله ومنّه

الهوامش

(١) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
(٢) م : قيموميا . مصححة فى الهامش .
(٣) م : دنياييه .
(٤) م : مأوا .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .
(٦) م : كان .
(٧) م : وافرا . أنظر كتاب الفناء .
(٨) م : ظهر .
(٩) م : فناهم .
(١٠) م : بقاهم .
(١١) م : البادى .
(١٢) م : فناهم .
(١٣) م : بقاؤهم .
(١٤) كان .
(١٥) م : ملبوسات .
(١٦) م : تبدوا .
(١٧) م : لدا .
(١٨) م : واجده إليه .
(١٩) م : يجدوه .
(٢٠) م : يشهدوه .
(٢١) م : رواع .
(٢٢) م : تعالى من الحق .
(٢٣) م : وقالوا .
(٢٤) أضيفت من كتاب الفناء .
(٢٥) أضيفت من كتاب الفناء .

في الألوهيـة

٥٩/أ) ٠

*بسم الله الرحمٰن الرحيم
ومن كلام الجنيد قدس آلله روحه

فى الألوهيــــة

قال أبو القاسم الجنيد رحمه آلله تعالى :

اعتزل الحق بهم ، وجُرِّدت الألوهية لهم ، فكان أول وارد الحق بتأدية شواهد إبرازه لهم وإنزاله إياهم فى أول الألوهية ، أنزل الأزلية على سرمد الأبد ، فى ديمومية البقاء إلى ماليس له غاية ولا منتهى ، ثم أتبع مع ذلك بشاهد منيع العز وطول الفخر وظهور القهر وشامخ العلو وقاهر السطوة وشدة الصولة وعظيم الكبرياء وجليل الجبرياء ، فاعتزل منفردا بذلك وتكبر وتعالى بالعظمة ، فكان الحق بالحق للحق قائما ، وكان الحق بالحق للحكم حاكما ، وتوحد فى تفرد جبروته أحداً فردا صمدا ، وهذا أول شاهد إنزاله من أنزل فى غلبة هذا الاسم عليه وأحلَّه به لديه ، وتابع مع ذلك ما أمكن فى إجنان صونه به له من أسمائه الحسنى ماوقعت إليه الاشارة* ومالم يقع من أسماء الجمع والتفرقة على ماشاء من الإبداء والإخفاء ، فمنها مابدت فى شواهدها ، وظهرت فى مطالبها ، وعلت فى مذاهبها ، وسرحت فى مساكنها ، وترددت فى مراكبها ، ثم تفانت[1] النعوت بجواز الاحتواء على ماتكيفته الحقيقة فسترته ، وكمنت فيه فغيبته ، وطوت عليه فكتمته ، وتمكنت منه فأتلفته ، وغلبت عليه فقهرته ، ثم تذهب بواديها[2] على الانفصال من غير انفصام ، وعلا بالإلف من غير جنس النظام ، فعالى بظاهره وبظافر أبداه بتمكين أحكامه ، فتصاول عند ذلك الصول ، وتفاخر الفخر ، وتقاهر القهر ، فأين الأين عند ذلك وليس يحين أينه ، وأين ذهاب الأين على دوام أزليته ، وأين مالا أين له ولا أين فيه على تفرد الألوهية ، وهو بعض مالوح الحق به فى اسم الجمع ، ثم يجرى فيهم ماتوقع منهم به النظر ، فى شواهد مالاق[3] الحق به مَن هذا نعته على اسمه المنفرد وعلمه المجرد ، فهذه

٦٠/أ) ٠

إشارة مالا يقع به الشرح أكثر ، ثم لا ينال فهم ذلك من جنس الإشارة إلا بتقدم الكون فيما تقدم به النعت ، وقد طويت[٤] مافيها ولم أفصح به فخذها من حيث لا تنال به إلا به إن أدرك الحق بإدراكك فى إدراكك ، ومن بعض ما أوجد الحق فى اسم التفرقة أن حبس به إظهار ما ألبسهم وألبسهم إظهار ما به حبسهم ، فكانوا فى إبدائه[٥] شواهد مكنون إخفائه ، فكلما طالعهم بما لاحظهم أرمس مستدرك المكان بكون خفى الكتمان ، وهم فى شواهد مايطالعهم به على ترادف ما أطلعهم به عليه ، ثم يطالعهم فيما به يطالعهم ، مطالعات سر المحترز المرتجف عليهم به فى إظهار ما كمنه ، وذلك قبل أن يشرف * بهم[٦] على حجاب غريب هذه الصفة ، ثم يبدى[٧] لهم شواهد البذل ومستعطفات سوابق الأمر ، ويظهر لهم به عند إقباله به عليهم ، وإجلاله[٨] منزلة لديهم بأنباء كون دوارك الوفاء ، والاحتواء على كل محبوب ومطلوب ومرغوب ، باستتمام كمال المصافاة واتحاد منح الموالاة ، ثم يعطف عليهم فى قرار أمن ما أحلهم فيه بإشهاده إياهم الغيبية عنهم ، والأخذ بما أقبل به عليهم ، وانتزاع لكل ما آنسهم من منحه وعطف عليهم به من بذله ، وأوقف عليهم لما يريد أن يبلغهم إليه ، ويطلبهم به ، أضداد الشواهد المتقدمة ، فلو رأيتهم بعين إشهاده إياهم ، وكون فيما فيه أحلهم ، لرأيت رهائن أشباح أسرى واجتناح جوائب[٩] أرواح سرى ، قد رهقوا بالمحو[١٠] فى ملكوت عزه ، وأرهقوا بفرط ابتلاء الحق لهم بفقده ، مما هم به منه يصرخون ، وبه إليه فى غمرات الكرب يضجون ، قد جمع أنفاسهم فى أنفاسهم ، وحبس أرواحهم فى أرواحهم ، فهم به عليه يترددون ، ومنه به إليه يتوحدون ، وهذا بعض علم التوحيد مما لوح[١١] إليه به صفوته .

(٦٠/ب)

تم بحمد الله ومنه وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

وكانت نسخة الأصل أعجميه سقيمة
جدا فلتتوقع نسخة صحيحة للمقابلة إن شاء الله تعالى

الهوامش

(١) م : تفاقت .
(٢) م : بوادها .
(٣) م : لاقا .
(٤) م : طوى .
(٥) م : ابتدائه .
(٦) م : به .
(٧) م : يبدا .
(٨) م : اجلاله .
(٩) م : واجتياح جراقب .
(١٠) م : بالحو .
(١١) م : لوج .

في الفرق بين الصدق والإخلاص

من كلام الإمام أبى القاسم الجنيد بن محمدقدس ٱلله روحه ونور ضريحه

(٦١/ب)

فى الفرق بين الإخلاص والصدق *

بسم ٱلله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . قال الشيخ الإمام ابو القاسم الجنيد قدس الله روحه ونور ضريحه : آنسك الله بقربه ، وجدّد لك فى كل وقت من الزيادة فى برّه ، وسترك فى ظلال جناح رحمته ، وجعل مأواك فى جواره[١] الذى أسكن فيه[٢] أرواح[٣] أهل خاصّته ، الذين تولاهم بحياطته ، فلم يلحقهم لاحق ، ولم يقطعهم قاطع ، ولم يشغلهم شاغل ؛ وصلى الله على نبيه وعلى أهل بيته وأصحابه وسلم .

أمّا بعد فإنك سألت عن الفرق بين الإخلاص والصدق .

فمعنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها ، بعد الوفاء منك بما عليك ممّا دلّك العلم عليه ، فى اقامة حدود الأحوال فى الظاهر ، مع حسن القصد إلى الله عزّ وجلّ فى أوّل الفعل .

فالصدق موجود فى حقيقة صفات الإرادة ، عند بداية الإرادة ، بالقيام بما دُعيت إليه فى حقيقة إرادتك ، ممّا طرق الحق لك اليه ، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة ، مع انتصاب العلم لك وموافقتك له ، بخروجك من التأويل .

فالصدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص ، وقد قال ٱلله عزّ وجلّ « لِيَسْأَلَ الصَّادِقِيْن »[٤] ثم سألهم بعد ما أوتوا بالصدق : ما أرادوا بصدقهم ، وقد سمى ٱلله الصادقين فى موضع آخر على غير هذا المعنى فقال عزّ وجلّ : « هَذَا يَوْم يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهُمْ »[٥] فكان الصدق فى الأول علما للخلق وفصلا بينهم وبين الإخلاص موجود فى صفة الخلق عند حالَيْن : حال الاعتقاد والنية ، وحال الفعل والعمل * فالإخلاص فى صفة الصادق موجود فى العقد

(٦٢/أ)

غير منسوب الى الصدق الّا بوجود (أوائل الإخلاص فى باطنه)[٦] ، وباق عليه علم موارد الأشياء عند ممارسه الفعل بالجوارح والتخلص لفعله عن عوارض اضداد الإخلاص ، حتى سمّى مخلصا .

فأوّل الإخلاص أن يفرد آللّٰه تعالى بالإرادة ، والثانى أن يخلص الفعل من الآفة ، فالصدق الذى هو عند الخلق صدق ، فرق بينه وبين الإخلاص ، والصدق الذى عند الله تعالى هو الصدق مع الاخلاص ، وقد يقال فلان صادق لما يرى عليه من صفات العلم وبذل المجهود منه ، ولا يقال فلان مخلص لغيبة الخلق عن علم إخلاصه ، فالصدق مشهود فى صفة الصادق ، والإخلاص معدوم من مشهده ، فالصادق موصوف بحسن صفات شاهده ، منسوب إلى الصدق بدلائل ظاهره ، مع وجود أوائل الإخلاص فى باطنه ، باق عليه علم موارد الأشياء عند وروده ، يقبل[٧] ماوافق الأول من معنى قصده ، ويردّ ماخالف علم ظاهره ، فالإخلاص يعلو[٨] الصدق لوجود زيادة العلم ، مع وجود قوة الردّ لما عارض من وسواس العدو ، لوجود صفاء القلب ، ولا يعلو الإخلاص شيء ، لأنه لا غاية فى العبودية من حيث العبد فوق الإخلاص ، ولا يقال إخلاص المخلص ، لأنه لا غاية بعد الإخلاص ، وقد قال آللّٰه تعالى « ليسأل الصادقين عن صدقهم » ولم يقل ليسأل المخلصين عن إخلاصهم ، لأن غايته من الخلق فيما استعبدهم به ، فالإخلاص[٩] يعلو الصدق والصدق دونه .

والصدق على ثلاثة أشياء : صادق بلسانه ، وهو القائل بالحق له كان أم عليه بخروجه عن * التأويل والتدليس ، وصادق فى فعله ، وهو الباذل للمجهود (٦٢/ب) من نفسه بإخراج وجود راحته ، وصادق بقلبه وهو القصد اليه فى فعله ، فعند وجود هذه الخصال يكون صادقا ، مع أن الصدق موجود من الصادق فى كلّ حال لا يستغنى عنه فى حال من الأحوال . وقد فسرت جملة فى أوّل الكتاب .

فالصدق فى التورع والتزهد والزهد والتوكل والرضا والمحبّة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة ، فى صفات المريد والمراد ، والذاكر والمذكور، وكلّ ذلك لابد من أن يتولد له شاهد ظاهر يشهد له بالصدق .

ومعنى الإخلاص إفراد النية لله عزّ وجلّ وحسن القصد اليه ، بحضور العقل عند موارد الأشياء ، وبيان تلوين الأمور عليه ، بما وافق الأوّل فى معنى صحّة قصده ، وردّ ماخالف ذلك من موارد النفس والعدو ، مع ذهاب رؤية النفس بوجود رؤية المنّة ، مع وجود حسن العزاء عند المذمّة من الخلق ، لوجود حسن المعرفة بالفضل ، ووجود الكراهة عند المحمدة ، لخوف فساد المعرفة بذهاب رؤية الخلق عند مصادفة الأحوال ، فهذا علم مشهود عند شاهد المخلص معدوم عند شاهد الخلق . فالصدق والإخلاص يتفقان فى حال المخلص ، وينفرد الصدق بالصادق ، مع أوّل وجود الإخلاص ، فغاية وصف الموصوفين بالعبودية فى الاستبعاد هو الإخلاص ، والصادق فى حقيقة صدقه يتولى بالإخلاص ، والمخلص فى حقيقة إخلاصه يُتَولّى بالكفاية ، لوجود نفاذ البصيرة ، وذو البصيرة فى حقيقة نفاذ بصيرته يُتَولّى * بالحياطة من جميع مايخشى فساده ، ثم وقع الاستيلاء بالتولّى بعد ذلك ، فقهر العقل فأفناه عن مقاومة الواجد . فعند وجود حقيقة التولّى بالخصوصية ، خرج عن عبادته لله بالنفوسية ، ودخل فى عبادته عزّ وجلّ بالوحدانية ، فكان ذلك أوّل وجوده حقيقة توحيد الخصوص ، بذهاب رؤية الأشياء لقيام رؤية الحق . فجرت الأحوال عليه فى مجارى صفاتها ، (لمراد مليكه فيها ، بسقوط صفاتها)[١٠] منها ، فعند وصول العبد إلى هذا ، خرج عن صفة وجود ما يوصف بالعقل ، فصارت عوارض العقل عند وجود حقيقة التوحيد ، وساوس تحتاج الى أن يردّها ، لأن العقل كان قيمّ العبد عند قيام العبد بالعبودية ، من حيث العبد ، فعند وقوع حقائق الملكة من آلله عزّ وجلّ له ، ذهب العبد فى العبودية من غير المعدن[١١] الأوّل ، فكان موجودا فى الصفة معدوما من المشرب ، فصار عند ذلك موجودا مفقودا .

(٦٣/أ)

الهوامش

(١) م : جوازه .
(٢) م : فيها .
(٣) م : ازواج .
(٤) سورة الاحزاب : آية ٨ .
(٥) سورة المائدة : آية ١١٩ .
(٦) أضيفت الى المخطوطة فيما بعد .
(٧) فى الهامش . والأصل فى المخطوطة : يقول .
(٨) م : يعلم .
(٩) م : الاخلاص .
(١٠) اضيفت من الهامش .
(١١) فى الهامش . الأصل فى المخطوطة : معدن .

في التوحيد

فى التوحيـــد

أعلم أن أوّل عبادة ٱلله عزّ وجلّ معرفته ، وأصل معرفة ٱلله توحيده ، ونظام توحيده نفى الصفات عنه بالكيف والحيث والأين ، فبه استدلّ عليه ، وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه ، فبتوفيقه وقع التوحيد له ، ومن توحيده وقع التصديق به ، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه ، ومن التحقيق جرت المعرفة به ، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا اليه ، ومن الاستجابة له وقع الترقّى اليه ، ومن الترقى اليه وقع الاتّصال به ، ومن الاتصال به* وقع البيان (٦٣/ب) له ، ومن البيان له وقع عليه الحيرة ، ومن الحيرة ذهب عن البيان ، ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له ، وبذهابه عن الوصف وقع فى حقيقة الوجود له ، ومن حقيقة الوجود وقع فى حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده ، ويتفقد وجوده صفا وجوده ، وبصفائه غيّب عن صفاته ، ومن غيبته حضر بكليته ، فكان موجودا مفقودا ومفقودا موجودا . فكان حيث لم يكن ، ولم يكن حيث كان . ثم كان بعد مالم يكن حيث كان ، فهو هو بعد مالم يكن هو ، فهو موجود موجود بعد ماكان موجودا مفقودا ، لأنه خرج من سكرة الغلبة الى بيان الصحو ، وتردّ عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها لاستدراك صفاته ، ببقاء آثاره والاقتداء بفعله ، بعد بلوغه غاية ماله منه .

مســألة أخــرى

رجل انتصب له العلم بحقيقته ، وانتصبت المطالبة عليه بحدتها ، وانتصب للعمل بكليته ، فلم يقع الائتلاف بين الصفة والعلم فى المطالبة ، فاستدرك عند الاختلاف بينهما مع حضوره وجمعه وانتصابه ، علم مراد الرجوع الى الحق مع الانتصاب والحضور والجمع ، فرجع اليه الصغار والذلّة والافتقار والقلّة بالسؤال ، بحملان أثقال ما أنتصب عليه من علم الحقيقة ، فكان موجودا عندما انتصب له من العلم الثانى ، بخروج صفته للعمل فيه ، وغير واجد لما

انتصب عليه من حقيقة علم الأول ، لأثقال ما انتصب عليه من شروط أحكامه ، فاستدرك عند اجتماع العلمَين بوجود حقيقة الثانى وفقد حقيقة الأوّل – عَلِمَ وقوع * البلاء بحقيقته ؛ بتجرع كأس المراقبة لإيضاح بقايا صفاته (٦٤/أ) وإيضاح خفايا طبعه ، بالخروج الى صفاء الصفة حقيقة التوحيد ، بانحطاط وقوع البلاء ، على حسب ما تقدّم من الموافقة للصفة ، بوجود لذّة الطبع ، فخرج عند ذلك بفناء الصفة من الهوى ، الى وقوع تجريد الحكم على صفاء ، بذهاب الهوى ، فانبسط بالإشارة بالحقيقة الى الحق عند خوادث الأمور وتلوين الأشياء ، بذهاب الوسائط ، بوقوع صفاء الحكم على صفاء الصفة .

مسألة أخرى

الخوف يقبضنى . والرجاء يبسطنى . والحقيقة تجمعنى . والحق يفرقنى . فإذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى بوجودى ، فصاننى عنى . وإذا بسطنى بالرجاء ردّنى علىّ بفقدى ، فأمرنى بحفظى . وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى فدعانى . وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه . فهو فى ذلك كلّه محركى غير ممسكى ، وموحشى غير مؤنسى ، بحضورى أذوق[1] طعم وجودى ، فليته أفنانى عنى فمتعنى . أو غيبنى عنى فروّحنى وللفناء أشهدنى . فنائى بقائى . ومن حقيقة فنائى أفنانى عن بقائى وفنائى فكنت عند حقيقة الفناء بغير بقاء ولا فناء ، بفنائى وبقائى لوجود الفناء والبقاء ، لوجود غيرى بفنائى .

مسألة أخرى

اعلم أن دليل الخلق برؤية الصدق وبذل المجهود ، لإقامة حدود الأحوال بالتنقّل فيها ، لتؤديه حال الى حال ، حتى يؤديه الى حقيقة العبودة فى الظاهر ، بترك الاختيار والرضا بفعله ؛ وهذه مواضع * قبول الخلق لدلائل صفات علم (٦٤/ب) الظاهر[2] عليه ، واجتماع صفته ، ثم تؤديه حقيقته الى مشاهدة الحق وإدراك

إشارته إليه ، بتلوين الأمور لاختيار اختياره له ؛ وهذه مواضع ذهاب الخلق عنه ، لتلوين صفاته فيهم ، ومواضع تغيبه عنهم ، وهذا مقام الاصطناع ، قال آلله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام « واصطنعتك لنفسى »[٣] فمن أين والى أين ، فمنه واليه وله وبه فنى ، وفنى فناؤه ، لبقاء بقائه بحقيقة فنائه ، فإن للحق فيه مراداً ، بردّه عليهم ، أخرجه اليهم بتظاهر نعمائه عليه ، فتلألأ سناء عطائه بردّ صفاته عليه لاستجلاب الخلق إليه وإحسانهم عليه .

مســـألة أخـــرى

اعلم أنك محجوب عنك بك ، وأنك لا تصل اليه بك ، ولكنك تصل إليه به ، لأنّه لمّا ابدى اليك رؤية الأتصال به ، دعاك الى طلب له فطلبته ، فكنت فى رؤية الطلب برؤية الطلب والاجتهاد لاستدراك ماتريده بطلبك ، كنت محجوبا ، حتى برجع الافتقار اليه فى الطلب ، فيكون ركنك وعمادك فى الطلب بشدّة الطلب ، وأداء حقوق ما انتخب[٤] لك من علم الطلب ، والقيام بشروط ما اشترط عليك فيه ، ورعاية ما استرعاك فيه لنفسك ، حماك عنك ، فيوصلك بفنائك الى بقائك لوصولك الى بغيتك ، فيبقى ببقائه ، وذلك أن توحيد الموحد باقٍ ببقاء الواحد ، وإن فنى الموحِّد ، فحينئذٍ أنت أنت ، إذ كنت بلا أنت ، فبقيت من حيث فنيت والفناء ثلاثة :

(٦٥/أ) فناء عن الصفات والأخلاق والطباع ، بقيامك بدلائل* عملك ، ببذل المجهود ومخالفة النفس ، وحبسها بالمكروه عن مرادها . والفناء الثانى فناؤك عن مطالعة حظوظ ، من ذوق الحلاوات واللذّات فى الطاعات ، لموافقة مطالبة الحق لك ، لانقطاعك اليه ، ليكون بلا واسطة بينك وبينه . والفناء الثالث فناؤك عن رؤية الحقيقة من مواجيدك بغلبات شاهد الحق عليك ، فأنت حينئذٍ فانٍ باقٍ ، وموجود محقق لفنائك ، بوجود غيرك عند بقاء رسمك بذهاب اسمك .

مســألة أخــرى

اعلم أن الناس ثلاثة : طالب قاصد ، ووارد واقف ، أو داخل قائم ، أمّا الطالب لله عزّ وجلّ فإنه قاصد نحوه ، باسترشاد دلائل علم الظاهر ، معامل آلله عزّ وجلّ بجد ظاهره ؛ أو وارد للباب واقف عليه ، متبيّن لمواضع تقريبه إياه ، بدلائل تصفية باطنه ، وإدرار الفوائد عليه ، معامل لله عزّ وجلّ فى باطنه ، أو داخل بهمّه ، قائم بين يديه ، منتف عن رؤية ماسواه ؛ ملاحظا لإشارته اليه ، مبادرا فيما يأمره مولاه ، فهذه صفة الموحِدّ لله عزّ وجلّ .

مســألة أخــرى

اعلم أن التوحيد فى الخلق على أربعة أوجه : فوجه منها توحيد العوامّ ، ووجه منها توحيد أهل الحقائق بعلم الظاهر ، ووجهان منها توحيد الخواصّ من أهل المعرفة ؛ فأمّا توحيد العوامّ فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأضداد(٥) والأشكال والأشباه ، والسكون إلى معارضات الرغبة والرهبة ممن(٦) سواه . فإن له حقيقة التحقيق فى الأفعال(٧) ببقاء الإقرار . وأمّا توحيد حقائق علم الظاهر فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأشكال والأشباه ، مع إقامة الأمر والانتهاء عن النهى* فى الظاهر ، مستخرجة ذلك منهم من عيون الرغبة والرهبة والأمل والطمع ، فإقامة حقيقة التحقيق فى الأفعال لقيام حقيقة التصديق بالاقرار . وأمّا الوجه الأوّل من توحيد الخاص فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية هذه الأشياء مع إقامة الأمر فى الظاهر والباطن بإزالة(٨) معارضات الرغبة والرهبة ممن سواه ، مستخرجة ذلك من عيون الموافقة بقيام شاهد الحق معه(٩) مع قيام شاهد الدعوة والاستجابة . والوجه الثانى من توحيد الخاص ، فشبح قائم بين يديه ليس بينهما ثالث ، تجرى عليه تصاريف تدبيره ، فى مجارى أحكام قدرته ، فى لُجَج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الحق له ، وعن استجابته له ، بحقائق وجود وحدانيته فى

*(٦٥/ب)

حقيقة قربه ، بذهاب حسّه وحركاته ، لقيام الحق له فيما أراده منه ، والعلم فى ذلك أنّه رجع آخر العبد الى أوّله ، أن يكون كما كان إذ كان قبل أن يكون ، والدليل فى ذلك قول آلله عزّ وجلّ « وإذ أخذ ربّك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيّاتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكّم قالوا بلى »[١٠] فمن كان وكيف كان قبل أن يكون ، وهل أجابت الّا الأرواح الطاهرة العذبة المقدسة ، بإقامة القدرة النافذة والمشيئة التامة ، الآن كان إذ كان قبل أن يكون ؛ وهذا غاية حقيقة توحيد الموحِدّ للواحد بذهب هو .

آخر مسألة التوحيد من كلامه رضى آلله عنه

سئل الجنيد رحمه آلله إلى أين تنتهى عبادة أهل المعرفة بالله عزّ وجلّ ، فقال : الى الظفر بنفوسهم ، نصب الحق لهم أعمال أدلّة العمّال ، فوقفوا مع ماله دون التعريج على مالهم ، فشوّق اليهم الأنبياء* ، وانتسب[١١] بهم للأولياء ، (٦٦/أ) وسبحت لهم الملائكة ، فتركوا مالهم ووقفوا مع ما لله عزّ وجلّ عليهم ، وسائر الناس وقفوا مع مالهم وتركوا ما لله عزّ وجلّ عليهم[١٢] فرد آلله عزّ وجلّ كلّا الى قيمته .

الهوامش

(١) م : لدوق .

(٢) م : الظاهرة .

(٣) م : سورة طه : آية ٤١ .

(٤) م : انتخب .

(٥) م : واضداد .

(٦) م : مم .

(٧) م : والأفعال .

(٨) م : بانزاله .

(٩) م : « القيام شاهد الحق معه مع قيام شاهد الحق معه » .

(١٠) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

(١١) م : والنسب .

(١٢) فى الهامش .

أدب المفتقر إلى الله

بسم آلله الرحمٰن الرحيم

أدب المفتقـــر إلى آلله

وسئل الشيخ أبو القاسم رحمه آلله عن أدب المفتقر إلى آلله عزّ وجلّ فقال : أن ترضى عن آلله عزّ وجلّ فى جميع الحالات ، ولا تسأل أحدا سوى آلله تعالى .

وسئل عن خاطر الخير هل هو شيء واحد أو أكثر ؟ فقال : قد يقع الخاطر الداعى للطاعة على ثلاثة أوجه : خاطر شيطانى باعثه وسوسة الشيطان[1] ، وخاطر نفسانى باعثه الشهوة وطلب الراحة ، وخاطر ربانى وباعثه التوفيق . وتشتبه هذه الخواطر فى الدعاء إلى الطاعة ، ولابد من تمييزها لأعمال الصواب منها ، لقوله عليه السلام (من فُتح له باب من الخير فلينتهزه) ولابد من رد الآخرين .

أما الشيطانى فبقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوْا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُوْنَ »[2] .

والشهواني الذى هو خاطر النفس بقوله ﷺ « حفّت النار بالشهوات » ، ولكل واحد من هذه الخواطر علامة يتميز بها عن صاحبه .

أما الخاطر النفسانى فباعثه الشهوة وطلب الراحة ، والشهوة تنقسم الى نفسانية كمحبة العلو والجاه والتشفى عند الغيظ وإصغار المعاند وأمثال ذلك ، وإلى جسمانية كالطعام والشراب والنكاح واللباس والنزه وأمثال ذلك ، وللنفس احتياج إلى هذه الملاذّ بحسب بعدها عن كل واحد منها وشدة توقانها إلى كل جنس تجانس منها ، فلخاطر النفس منها علامتان قائمتان مقام شاهد عدل على تمييز الخاطر المختص بها : أحدهما حضور هذا الخاطر عند احتياجها إلى بعض هذه الأشياء المشتبهات مثل حضور التزويج عند شدة حاجتها إلى النكاح وتلبيسها ذلك عليه بأن قصدها إعمال قوله ﷺ : *« تنكاحوا تناسلوا فإنى (٦٧/أ)

مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » ، وتجنب قوله ﷺ « لا رهبانية فى الاسلام » ، ومثله فى الطعام عند شدة حاجتها إليه ، فربما لبّست عليك هذا بدعائك إلى ترك الصيام أو تناول بعض المشتهيات ، بأن تقول إن فى سرد الصيام إضعاف النفس عن الأمر المحتاج إليه فى الطاعات ، (وأن) فى ترك تناول هذا الطعام المشتهى ماكسر قلب المسلم إذا دعى إليه الصديق ، (أو) قلب العيال إذا كان مما جلبته إنت لعيالك . وربما خدعتك بلون آخر بأن تقول لك اكسر هذه الشهوة بتناولها هذه الكره لئلا يلج عليك هذا الخاطر فيشوش عليك عبادتك وأمثال ذلك فى سائر الشبهات[٣] ، كل هذا من تلبيسها وتدليسها . ومثله عندما تكدها بالعبادة وتلزمها على الكراهية الطاعة ، فتختار لك نهى النبى ﷺ عن التبتل وعن اتعاب النفس مثل قوله عليه السلام « اكلفوا من العمل ماتطيقون » ومثل قوله عليه السلام « إن الْمُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ ولا ظهراً أبقى » ، بل ربما دعتك عند إكثارك إتعابها ومنعها شهواتها إلى ما فيه إهلاكها رأسا أو منعها من تصرفاتها ، فتحملك إلى مايؤدى إلى القتل أو السجن وأمثال ذلك ، لما يتخيل فى هاتين الحالتين من الراحة وزوال التعب عنها . فأحد الشاهدين فى هذا الباب أن يكون قد تقدم لها الكد والإتعاب عند طلبها الراحة وتقدمّ لها الحاجة إلى الشيء المشتهى عند باعث الشهوة ، فيعتبرها بهذين الحالين ، فإن كان قد تقدم أحد هاتين الحالتين ، علمت أن الخاطر من النفس ، وحاجتها إلى ذلك هو الذى حركها إلى الدعاء اليه ، ومجموع ذلك أن يكون الخاطر شهوانيا ، أو لطلب الراحة ، فالغالب على هذا الخاطر أنه من النفس ، والشاهد الثانى إلحاح بهذا الخاطر * وعدم انقطاعه ، حتى يأتى مواليا كلما جاهدت فى دفعه عن نفسك (٦٧/ب) ألحَّ عليك ولج ، ولا ينفع فيه الاستعاذة ولا التخويف ولا التحذير ولا الترغيب ، بل هو ملح دائم الإلحاح ، فهذا من أكبر الدلائل على أنه من النفس ، إذ هى كالصبى متى منع من الشيء ازداد لجاجا فى طلبه ، فهاتان الحالتان شاهدا عدل متى اجتمعا لا تشك فى أن الخاطر من النفس . ومداواتها

عند هذه القضية بالمخالفة المحضة والاتعاب الشديد ، فتمنعها الراحة عندما يكون الباعث للخاطر كثرة الكد والإتعاب بالعبادة ، أو بوصف وضعه أثقل ، ليكون ذلك أقمع لها من التحريك لمثل هذا الخاطر ، وإن كان شهوانيا جعل دواؤه الحرمان للشيء الذى طلبته ، أو تمنع من مشتهى آخر لها ، ليكون ذلك أمنع لها . وأما الخاطر الشيطانى فله أيضا علامتان : أحدهما تنبيهه ببعض ماتحتاج النفس إليه بداعى الشهوة أو داعى الراحة فى الأوقات المألوف(٤) تحصيل النفس مطلوباتها فيها(٥) ، والفرق بينه وبين النفسانى فى هذا الباب أن النفسانى يلح ولا يذهب ، وهذا يذهب تارة ويكر ، فكل ما لهى الإنسان عنه بسبب فتور النفس ألح عليها بالتذكير للشهوة ، وتكون حركة النفس عند هذا التذكير أكثر من الخاطر النفسانى إذ الخاطر النفسانى إنما خطر لشدة الحاجة ، والثانى أن هذا الخاطر الشيطانى يبتدىء ويطرأ على عقله ، والخاطر النفسانى متصل ، متحرك للطبع نحو الشهوة أو الراحة ، وذلك أن وسوسة الشيطان إنما هى تجرى مجرى مخاطبة الإنسان للإنسان ، غير أن الفرق بين هذا وذاك ألا يراه ، والإنسان يحرك قلبك من جهة حاسة * الأذن عند الخطاب ، أو التصويت والبصر عند الاشارة ، والحس عند الغمز ، والشيطان يحرك ذلك من الوسوسة وغمز القلب والخطور فيه ، وهو لا يعلم المغيب ، وإنما يأتى إلى النفس من جهة الأخلاق التى ألف انفعالها له ؛ فهذا الفرق بين النفسانى والشيطانى . أما الخاطر الربانى فإنه يستدل عليه بشاهدين أيضا : أحدهما وهو المقدم موافقة الشرع للخاطر وشهادته بصحته ، والثانى فتور النفس عن قبوله ابتداء ، حتى يحصل لها نوع الترغيب ، وهو الهجوم على النفس من غير مقدمات له كالشيطانى ، إلا أن سرعة النفس لموافقة الخاطر الشيطانى أكثر ، وهى له أبدر ، وهى عن هذا أكسل ، إذ الشيطان انما يجيؤها(٦) من شهواتها وراحاتها ، وهذا يأتى من جهة التكليف ، وتنفر نفرة من التكليف عن وروده عليها ، فهذا الفرق بين هذا (وبين)(٧) الخاطر الشيطانى والخاطر النفسانى ، فإذا خطر لك فزنه بهذه الموازين الثلاث ، واستشهد فى كل فصل منه بالشواهد التى أشرنا لك فتميز

* (٦٨/أ)

لك الخواطر فاصنع فى الشيطانى والنفسانى ماكنا ذكرناه لك فى المدافعة[٨] الحاسمة لهما وبادر لهذا الخاطر الربانى ، ودع التشاغل والتضييع فإن الوقت ضيق والحال يتحول[٩] ، وإياك وتسويل النفس ووسواس الشيطان ، فإن هذا الباب من أبواب الخير قد انفتح لك فارحبه حتى تستأنفه[١٠] من أوله ، ومثاله أن يكون قد خطر الخاطر فى صيام بعض شهر قد حث الشرع على صيامه ، أو قيام بعض ليلة ، فتقول دع هذا حتى استكمل الليل بأوله أو الشهر بتمامه ، وإنما ذلك مخادعة ليسد باب التوفيق المجزى[١١] ، فإن هذه الخواطر لا تدوم ، وإنما هى سريعة الاستحالة ، والمبادرة لإمساك الخاطر الربانى * مأمور الشرع ، وفيه فائدتان : أحدهما أن يكون وقت أكمل من وقت ، كنحو الأوقات التى ورد الخبر عن مسامحة آلله عزّ وجلّ وتنزل الرحمة والغفران ، ونظرات الحق سبحانه وتعالى إلى الخلق لا تحصى . والأخرى ايلاف النفس للمبادرة لامتثال الأوامر والطاعات عندما ترجى بركة العمل ، وفيه إزالة حال التكاسل لها ، وذلك للتعرض لنفحات رحمة آلله تعالى ، وهذا فى رياضة النفس على المبادرة الى امتثال الأوامر مفيد أيضا ، وآلله أعلم وأحكم . *(٦٨/ب)

آخر أدب الفقر من كلام الشيخ أبى القاسم الجنيد قدس آلله روحه ونور ضريحه والحمد لله رب العالمين وصلى آلله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

الهوامش

(١) م : للشيطان .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .
(٣) م : المشهيات . صححت فى الهامش .
(٤) م : المألوفات .
(٥) م : فيه .
(٦) م : يجيها .
(٧) م : محذوفة .
(٨) م : المداومة .
(٩) م : تحول .
(١٠) م : « له فارتجه حتى اسابقه » .
(١١) م : المحرى .



بسم آلله الرحمن الرحيم

كتاب دواء التفريط

قال الشيخ أبو القاسم الجنيد بن محمد رحمه آلله :

خصك آلله لطاعته ، وهيأك لموافقته ، وجعلك من أهل ولايته ، وانتخبك لمحبته ، وأسرع بك إليه ، وأوقفك على علم مراده ، واستعملك بعلم ما أرادك له ، وعودك الإصغاء إلى استنباط الفهم عنه ، وحال بينك وبين العوارض القاطعة والعلائق المانعة ، وجعل أقوالك لديه مرضية وعنده زاكية ، وكفاك مؤونة كل شاغل عنه ، وهيأك لخدمته ، وروحك بتفويض الأمر إليه ، وحال بينك وبين كل ممتنع عليك فى الطريق* المسلوك إليه ، وجعل لك على كل هم لا يسعدك فى طلب مايرضيه من لدنه سلطانا نصيرا ، إنه ولى الإنعام وكافى المهمات .[1] (١١٠/أ)

وينبغى[2] للعاقل ألا ينفقد[3] من إحدى ثلاث مواطن ، موطن يعرف فيه حاله أمتزايد[4] أم منتقص ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه من إلزامها مايلزمها ، (ويتقصى فيه على معرفتها)[5] وموطن يستحضر عقله برؤيته التدبير ، وكيف تختلف به[6] الأحكام ، فى آناء الليل وأطراف النهار ، ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الآخر[7] إلا بإحكام مايجب عليه من إصلاح الحالين الأولين . فأما المواطن الذى ينبغى (له)[8] أن يعرف فيه حاله أمتزايد[9] هو أم منتقص ، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكى لا يعارضه *شاغل[10] ، فيفسد عليه مايريد إصلاحه ، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض[11] الذى لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض . ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدى ربه[12] ، يريد أن يؤدى إليه ما أمر بتأديته ، فحينئذ ينكشف[13] له (من)[14] خفايا النفوس الموارية . فيعلم أهو ممن أدى ماوجب عليه أم لم يؤد ، (ثم)[15] لا يبرح[16] من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم برهان[17] مااستكشفه بالعلم ، فإن رأى خللا أقام على إصلاحه ولم (١١٢/أ)

يجاوزه[١٨] إلى عمل سواه ، وهذه أحوال أهل الصدق فى هذا المحل « والله يؤيد بنصره من يشاء إن الله لقوى عزيز » * وأما الموطن الذى يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصى فيه حال[١٩] معرفتها ، فإنه ينبغى لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة فى المعاملة ، فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء ، لا يقف على حد ذلك إلا من بصر[٢٠] ، ماهنالك فى حيز حركة الهوى فى محبة فعل الخير المألوف ، فإن النفوس[٢١] إذا ألفت فعل الخير صار خلقا من أخلاقها ، وسكنت إلى أنه[٢٢] موضع لما أهلت له ،[٢٣] وارتدت به[٢٤] وترى أن الذى جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هى له أهل ، ويرصدها العدو المقيم بفنائها والمجعول له السبيل على * مجارى الدم فيها ، فيرى هو بقوة كيده[٢٥] خفية غفلتها ، فيختلس بممايلة الهوى[٢٦] مالا يمكنه الوصول إلى اختلاسه فى غير تلك الحال ، فإن تألم لوكزته منه وعرف نفسه[٢٧] أسرع بالإنابة[٢٨] إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به ، فاستقصى من نفسه علم الحالة[٢٩] التى منها وصل عدوه إليه ، فحرسها بلياذة اللجأ وإلقاء الكنف وشدة الافتقار وطلب الاعتصام ، كما قال الكريم بن الكريم بن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام[٣٠] « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين »[٣١] وعلم يوسف أن كيد * الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس[٣٢] « فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم »[٣٣] .

٠(١١٣/أ) ٠(١١٣/ب) ٠(١١٤/أ)

وأما الموطن الذى يستحضر فيه عقله لرؤية مجارى الأحكام وكيف يقلبه التدبير ، فهو أفضل[٣٤] الأماكن وأعلى المواطن فإن الله أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته فقال تعالى « وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[٣٥] » فألزمهم دوام العبادة[٣٦] ، وضمن لهم عليها فى العاجل الكفاية ، وفى الآجل[٣٧] جزيل الثواب فقال تعالى « يا أيها الذين * آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »[٣٨] وهذه كلها عبادة تلزم كل الخلق ، ووقف ليرى كيف تصرف الأحكام ، فقد[٣٩] عرض لرفيع

٠(١١٤/ب)

العلم والمعرفة ، ألا تعلم[٤٠] أنه قال تعالى « كل يوم هو فى شأن »[٤١] يعنى شأن الخلق ، وأنت (أيها)[٤٢] الواقف[٤٣] لترى أنك[٤٤] من الخلق الذى هو فى شأنهم ، أفترى[٤٥] شأنك[٤٦] مرضيا عنده ، ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا ومافيها (عنده)[٤٧] وخروجها من قبله ، فإذا انقضت الدنيا وبادت وباد أهلها وانصرفت * عن القلب ، خلا بمسامرة رؤية التصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام ، ولن يرجع قلب من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع مما[٤٨] فى هذه (الدار)[٤٩] التى عنها خرج ، ولها ترك ، ومنها هرب ، ألا ترى إلى حارثة حين يقول : عزفت نفسى عن الدنيا ثم يقول : وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وكأنى بأهل الجنة يتزاورون وكأنى (وكأنى)[٥٠] ، وهذه بعض أحوال القوم[٥١] ، فاحرص يا أخى على العمل فى نجاة نفسك وخلاصها وعتقها من رق مذلة الهوى والانقياد إلى مسامرة أهل الدنيا ، فكل نفس ذاقت من سهو الغفلة قطرة إلا * أورثها ذلك قسوة أسكرت العقل وأذهلت المعرفة ، وجعلت للفتنة مدخلا خفيفا ، فمن رفع ستر الآفات انكشف له ستر الانطواء ، ولم يتروح نسيم لذة المعاملة ، ولقد فاز قوم نظر إليهم وليهم فدلهم على مختصر الطريق ، وأوقفهم على محجة النجاة ، وألاح لهم خفى فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناقشة عند فهم الخطاب ، إذ يقول عز وجل « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »[٥٢] فنهضت العقول مستحثة للجوارح بحسن التوجه لإقامة * مابه يحظون عند من استجابوا لدعوته ، وقرت العيون بما أورد على قلوبهم من السرور بالخلوة ، به خلا بين أناس أكياس لا يرهبون فى الطريق إليه غيره ، ولا يتوسلون إليه إلا به ، ولا يسألونه شيئا غير إدامة التمتع بخدمته ، وحسن المعونة على موافقته ، قد أيست منهم الاعداء ، وأماتت عنهم الخشية الهوى ، وأقرت بهم عيون الأحبا ، لا يرون نايلا هو أعظم مما نالوا ، ولا يبتغون بما أنعم عليهم بدلا ، ولا يريدون عنه حولا ، صفاهم العلم ، وأدبتهم المعاملة وأعزهم

٠(١١٥/أ) ٠(١١٥/ب) ٠(١١٦/أ)

* الانقطاع إلى آلله تعالى ، وأغناهم عمن سواه . هم طلبة آلله وطلابه ، ومحبو آلله وأحباؤه ، هاموا شوقا إلى رؤيتهم ، وحسرة على مفارقتهم وسروا بمحادثتهم ؛ أرادهم آلله فأرادوه ، وطلبوا آلله فوجدوه ؛ فمن أراد النجاة فليتعجل روح الحياة ، بطلب الوصول إلى مناه ، فإن آلله منية الأولياء ، وبغية العقلاء ، وطلبة الأصفياء ؛ ولولاه مااهتدوا إليه ، ومن ذكرهم دلهم عليه ، لم يتعسفهم فيما ألزمهم ، ولم يحملهم مالايطيقونه ، ولم يخلهم ونفوسهم ، ولم يؤاخذهم بتقصيرهم ، بل أنعم عليهم * بجميل قبول العذر فى حين القبول[٥٣] ، وتجاوز لهم عما عجزت عنه أبدانهم ، وأوقفهم على جميل الصحبة ، وكثرة الأيادى بالحفظ بالأمم السابقة بحسن التثقيل ، وخلاصهم من العذاب الوبيل ، ودلهم على سبيل الشكر المرضى عنده ، وألف بينهم وبين النظراء من الأشباه والأشكال ، وصان قلبهم وأبصارهم وأسماعهم عن الدنو إلى الخناء ، واتقوا من محادثة شيء منها ، مما يفنى ، وهانت عليهم مصائب الدنيا ، وألفوا مااختار لهم وليهم ، قربانهم التقديس والتسبيح والتجميل والتهليل وراحتهم وقرة عيونهم فى مناجاتهم ، فما يصدون عند لقائه فى معادهم ، وإنما قطع الخلق عن آلله عز وجل اتباعهم الأهواء ، وطاعتهم الأعداء ، ومحادثتهم لزهرة الحياة الدنيا ، وإيثارهم مايفنى على مايبقى . فبادر يا أخى إلى إصلاح مامضى من العمر وماضاع منه بالسهو والغفلة والتفريط والتوانى ، لحفظ ماأبقى عليك منه بالانزعاج والخوف والجد والحذر قبل أوان الوقت ، ونزول الموت ، فإنه لا يرضى عمن بقى إلا بمثل العمل الذى به رضى عمن سلف ، فاسع فى فكاك الرق بترك * ملابسة العلايق الشاغلة ، فإن لله يوما يبرز فيه الخبايا ، وتبدو فيه الأعمال ، يوم لا يثق فيه شهيد ولا صديق بعمله ، ولا يرجو فيه أحد إلا التجاوز والعفو من ربه ، يوم تكثر فيه الندامة ، وتقوى فيه الملامة ، فالآن مادام العذر مقبولا والوقت مبسوطا ، والعمل ممدوذا ، والتوبة مقبولة ، والذنب تمحوه الإنابة ، والندم والقول فيه مسموعا ، والخير فيه متبوعا . والحق بيِّنا ،

.(١١٦/ب)

.(١١٧/أ)

.(١١٨/أ)

والطريق واضحا ، والحجة لازمة فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وآثار
مشيئة الهداية بينة عند أهل الهدى فمن علامة من * نعته ، سهولة الطاعة ومحبة •(١١٨/ب)
الموافقة ، ورؤية النفس بعين العجز والانقطاع عن القيام بالواجب أو الموالاة
والمؤاخاة والمصافاة والمحبة والمواساة والإيثار على النفوس لأهل القرب والمواصلة
فى ذات آلله عز وجل ، والمعاونة لأهل الولاية ، والذب عن حريم الحق ،
والتراضى بالصبر على ماتقدم من الأمر ، والاستخفاف وخفة المؤن ، والتعلل
والتجرى والتحرى ، ومدافعة الأوقات ، والوقوف على حد الأمر فى إدخال
السرور عليهم * ومخالطتهم ومجالستهم ، وترك الترفع عليهم ، فيهم أوصى آلله •(١١٩/أ)
تعالى لنبيه ﷺ فقال « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيْدُ زِيْنَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا » .(٥٤)
جعلنا آلله وإياكم ممن عرف حق آلله فإستعمله ، واشتغل به ولم يشتغل عنه ،
وحفظ علينا وعليك مااسترعانا ، وأحسن معونتنا وإياك على أداء الشكر ودوام
الذكر ، إنه ولى الإحسان وموعد العبيد الجنان وواعدهم بالنيران .

تم الكتاب بحمد لله ومنه وصلى آلله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الهوامش

(١) زيادة ليست موجودة فى حلية الأولياء .
(٢) ح ينبغى .
(٣) ح يفقد .
(٤) ح أمزاد .
(٥) زيادة فى ح .
(٦) ح تقلب فيه .
(٧) ح الأحير .
(٨) زيادة فى ح .
(٩) ح أمزاد .
(١٠) ح مشغل .
(١١) ح الفرص .
(١٢) ح سيده .
(١٣) ح تكشف .
(١٤) « من » ليست فى ح .
(١٥) « ثم » ليست فى الأصل .
(١٦) فى الأصل يتجاوز .
(١٧) ح ببرهان .
(١٨) يتجاوز فى الأصل .
(١٩) فى الأصل « من » بدلا من حال .
(٢٠) ح تصفح .
(٢١) ح النفس .
(٢٢) ح أنها .
(٢٣) الأصل لها .
(٢٤) كذا بالأصل .
(٢٥) ح هو بكيده .
(٢٦) ح فيحتلس منها بمسائلة .
(٢٧) فى الأصل فإن المرء لو عرف .
(٢٨) ح بالأمانة .
(٢٩) الحال .
(٣٠) ح كما قال النبى ابن النبى ابن النبى الكريم ابن الكريم ابن الكريم كذا قال النبى ﷺ « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليهم السلام » .
(٣١) سورة يوسف آية ٣٣ .
(٣٢) الأصل بقوى .
(٣٣) سورة يوسف آية ٣٤ .
(٣٤) الأصلى أعز .
(٣٥) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٣٦) ح عبادته .
(٣٧) ح الأخرى .
(٣٨) سورة الحج آية ٧٧ .
(٣٩) ح وقد .
(٤٠) ح يعلم .
(٤١) سورة الرحمن آية ٢٩ .
(٤٢) زيادة من ح .
(٤٣) اترى .
(٤٤) زيادة من ح .
(٤٥) ح أو ترى .
(٤٦) الأصل سائلا .
(٤٧) زيادة من ح .
(٤٨) ح بما .
(٤٩) زيادة فى الأصل .
(٥٠) زيادة فى ح .
(٥١) هذا آخر ماجاء من الرسالة فى حلية الأولياء .
(٥٢) سورة آل عمران آية ١٣٣ .
(٥٣) فى الأصل : القبور .
(٥٤) سورة الكهف : آية ٢٨ .

